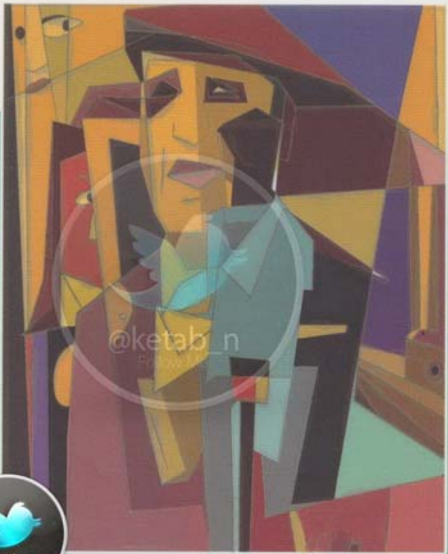


أنطونيو سكارميتا

رواية

ساعي بريد نيرودا

(صبر متأجج)

تعريب **صالح علماني**

Masciliana
Editions

أنطونيو سكارميتا

ساعي بريد نيرودا

[صبر متأجج]

تعريب: صالح علماني

مسكيلياني للنشر

العنوان الأصلي للكتاب

El cartero de Neruda
(Ardiente paciencia)

المؤلّف : أنطونيو سكارميتا

عنوان الكتاب : ساعي بريد نيرودا

تعريب: صالح علماني

تصميم الغلاف: الفنّان رؤوف العرفاوي

الإخراج الفنّيّ والتصفيف الداخليّ: شوقي العنيزي

الناشر: مسكيلياني للنشر والتوزيع

41 شارع إيران لافايات-تونس

الهاتف: (+216)23305015

البريد الإلكتروني: anizos55555@yahoo.fr

ر. د. م. ك: 978-9938-833-01-1

الطبعة الأولى: 2011

تم طبع وإنجاز هذا الكتاب في:

الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم

Sotepa Graphic

1، نهج محمد رشيد رضا - 1002 تونس

الهاتف: 933 901 71 / الفاكس: 613 900 71

البريد الالكتروني: sotepagraphic@yahoo.fr

تونس

2011

ساعي بريد نيرودا
حين يصبح الشعر ماهيّة للرواية

بقلم: ظافر ناجي

هي حقّا رواية بطعم الفاكهة، تبدؤها فإذا أنت متورّط فيها حدّ المتعة، تنال من كلّ حواسّك و تسحبك من عالمك إلى عالمها فلا تستطيع لها تركا ولا منها فكاكا قبل أن تقرأ الجملة الأخيرة .. قد يذهب الظنّ إلى أنّ تشابك الأحداث وتشويق الوقائع هما اللذان يشدّان القارئ، لكنّ الحقيقة غير ذلك، بل هي على العكس تماما رواية شحيحة الشخصيّات قليلة الأحداث يمكن تلخيصها في كلمة "نيرودا" و هو ممدّد على فراش المرض ردّا على ساعي بريده "ماريو خيمينث" وهو يسأله عمّا يشعر.. فيجيبه بكلّ بساطة وعمق: "أشعر بأنّي أحتضر. وباستثناء ذلك ليس هناك ما هو خطير".

أيّة مفارقة أجمل من لعبة اللغة توحي و تسخر و تمكر ؟ لغة هي النّسيج واللّباس والرّائحة والالتباس. تلتبس عليك الأحداث فلا تعرف ما الواقع وما الخيال وما السّحر. و تلتبس عليك الشّخوص والشخصيّات والأشخاص فتتساءل: من البطل؟ ولا جواب... كلّهم أبطال ولا بطل.

"ساعي بريد نيرودا" أراد لها كاتبها أنطونيو سكارميتا أن تكون رواية المسارات والأقدار، أمنية رجل بسيط في أن يصير مشهورا وحلم شابّة في مقتبل تفتّحها بالحبّ وخوف الأمّ على البنت وتاريخ وطن هو الشّيلي في لحظة عاصفة على أيّام سالفادور ألندي في صعوده المضفّر وسقوطه المدوّي الذي أحبط حلم ملايين البشر في ديموقراطيّة حقيقيّة واستبدله بكابوس أعتى الدّيكتاتوريّات العسكريّة التي عانت منها أمريكا اللاّتينيّة.

هي حكاية تتقاطع فيها الأقدار التي يفترض أن لا تلتقي .. قدر البحّار البسيط الذي يتحوّل بضربة الحظّ وأحابيل الصّدف إلى ساعي بريد.. قدر الشاعر المناضل الشهير المنغرس في حياة البسطاء وتفاصيل حاناتهم الشّعبيّة وخلافاتهم الشخصيّة وهو ممزّق بين السّياسة والسفارة المحتملة وبين القصيد والجائزة المنتظرة.. قدر ماريو وهو يشحب و يهزل حبّا لبياتريث.. وقدر بلد هو الشيلي يُمتحَن في ديموقراطيّته.. مفارقات هي قمّة التناسق في التقائها، تماما كما تلتقي ماهيّات البحر والحبّ واللغة في اللاّتناهي ...

إنها ببساطة .. رواية مجدولة من ضفائر حكايتين أساسيّتين: حكاية حبّ فرديّة وحكاية ثورة شعبيّة. وما الفرق حقّا؟؟

يوم زفاف ماريو من بياتريث لبس نيرودا أفخر ما لديه. كان الزواج الكنسيّ "بروفا " أو تدريبا على استلامه لمهامّه كسفير للشيلي الشيوعيّة في باريس .

و لأنّ البطولة — أو جزؤها الغالب — للشاعر بابلو نيرودا فقد كانت الرّواية متجانسة مع بطلها بشعريّتها العالية إلى درجة يتحوّل فيها لقاء الجسدين المحبّين لأوّل مرّة إلى قصيدة وحدث الانتصاب إلى لوحة تشكيليّة ويستحيل معها زغب عانة ابنة السّتّة عشر عاما إلى أعشاب مزهرة و يصير حوار دونيا مع ابنتها بياتريث على امتداد أكثر من خمس صفحات — وهي تعلّمها خطورة الشعر على النّساء وعلاقة الاستعارة بالشبق — مشهدا سينمائيّا..

نحن إزاء رواية علامة في تاريخ الأدب العالميّ. رواية، الشعر مبدؤها ومنتهاها ومرجعها ومبتغاها فكلّ وظائفها السرديّة وأحداثها المفصليّة شعر على شعر فالبحار صار ساعي بريد للشاعر و منه بدأ يسرق الأبيات قبل أن يسرق الصنعة ليغوي بها حبيبته، والشاعر صار نجما بالشعر، وبالشعر أصبح مناضلا ..

علامة تؤكّدها الضجّة التي صاحبتها بعد أن تحوّلت إلى فيلم ثمّ إلى مسرحيّة تحمل نفس إمضاء أنطونيو سكارميتا ورشّحت إلى أكبر الجوائز العالميّة و توّجت بالعديد منها .

علامة تنساب المتعة مع سطورها كخدر الحبّ في العروق لذلك فهي تكره القارئ العاديّ وتنشد قارئا شبقا لا ينتهي من الصفحة حتّى يستزيد إلى أن يفقد الوعي ... أي يسترجعه .

إلى ماتيلدي أوروتيا، ملهمة نيرودا،

ومن خلالها إلى منتحلي أشعاره البائسين.

مقدمة

كنت في ذلك الحين أعمل محرراً ثقافياً في صحيفة من الدرجة الخامسة. والقسم الذي كنت أتولى مسؤوليته كان يُوجَّه وفق المفهوم الفني للمدير الفخور بصداقاته في الوسط الثقافي، فكان يجبرني على التصدي لمقابلات مع نجوم فرق مسرحية تافهة، وتقريظ كتب يؤلفها تحريون سابقون، ونشر ملاحظات عن سيركات جوالة أو ثناءات مفرطة لاكتشاف الأسبوع الذي يمكن أن يدبره أي ابن جيران.

في المكاتب الرطبة لتلك الصحيفة كانت تحتضر كل ليلة أحلامي في أن أصبح كاتباً. فكنت أظل حتى الفجر وأنا أحاول البدء بكتابة روايات لا ألبث أن أتخلى عنها في منتصف الطريق يائساً من موهبتي ومن كسلي. كان كتّاب آخرون من جيلي يحققون النجاح في البلاد، بل وينالون كذلك الجوائز في الخارج: جائزة كاسا دي لاس أميركاس، جائزة بوبليتيكا بريفي التي تمنحها دار النشر سيس بارّال، جائزة سود أميركانا، وجائزة بريميرا بلانا. وكان الحسد يدفعني أكثر من مهماز كي أنهي يوماً أحد أعمالي، ويؤثّر فيّ كماء دوش بارد.

في تلك الأيام التي تبدأ بها تاريخياً هذه القصة ــ وسيلاحظ القراء المفترضون أنها تنطلق متحمسة وتنتهي تحت

تأثير حالة من الكآبة ـ انتبه المدير إلى أن مروري عبر البوهيمية قد صقل شحوبي بصورة خطرة، فقرر تكليفي بمهمة على شاطئ البحر، تتيح لي الاستمتاع بأسبوع من الشمس والرياح والبحريات والأسماك الطازجة، والقيام في أثناء ذلك باتصالات سيكون لها أثر مهم في مستقبلي. والمسألة تتمثل في مداهمة السلام الساحلي للشاعر بابلو نيرودا، والحصول لقراء مطبوعتنا، من خلال مقابلات معه، على شيء من قبيل ـ حسب تعبير مديري ـ «الجغرافية الغرامية للشاعر». وبحسابات طيبة، وفق العرف التشيلي، دفع الشاعر إلى التحدث بأكثر الطرق الممكنة تفصيلياً عن النساء اللواتي ضاجعهن.

إقامة في نزل إيسلا نيغرا، وجبات طعام تليق بأمير، سيارة مستأجرة من وكالة هيرتز، إعارتي آلته الكاتبة النقالة ماركة أليفتي؛ كانت تلك هي الوسائل الشيطانية التي أقنعني بها المدير لتنفيذ المهمة المشينة. بهذه الوسائل، ومعها مثالية الشباب، أضفتُ إليها سبباً آخر وأنا أداعب مخطوطاً كنت قد توقفت عن مواصلته عند الصفحة الثامنة والعشرين: فقد قررت أن أقوم في فترة بعد الظهر بكتابة تحقيقي عن نيرودا، وأستغل فترة الليل، وأنا أستمع إلى صوت البحر، لأعمل في روايتي وأنهيها. بل إنني نويت شيئاً آخر تحول إلى هاجس لدي، وجعلني أشعر بتشابه كبير مع ماريو خيمينث، بطل روايتي هذه. وكان ما نويته هو التوصل إلى جعل بابلو نيرودا يكتب مقدمة لروايتي. فبمثل هذه الغنيمة القيمة يمكنني أن أطرق أبواب دار ناثيمينتو للنشر والتوصل فوراً إلى نشر كتابي المؤجل بصورة يرثى لها.

وكـي لا أجعـل هـذه المقدمـة لانهائيـة ، وأجنـب قرائـي البعيـدين عقـد آمـال زائفـة ، فـإنني سـأنتهي بتوضـيح بعـض النقـاط. أولاً ، الروايـة الـتي بـين يـدي القـارئ الآن ليست تلك التي أردت كتابتها فـي إيسلا نيغرا ، وليست أي واحدة أخرى من الروايات التي كنت قد بدأت بكتابتها فـي تلك الحقبة ، وإنما هي نتاج موازٍ لمداهمتي الصحفية الفاشلة لنيرودا. ثانياً ، على الرغم من أن العديد من الكتاب التشيليين كانوا أو ما يزالون يرتشفون من كأس النجاح (فـي أشياء كثيرة من بينها عبارات من نوع ، قال لي أحد الناشرين). فقد بقيتُ ـ ومازلتُ ـ مُستبعداً بصرامة عن النشر. وفـي أثنـاء ذلـك أصبح الـبعض معلمين فـي القصة الغنائية على لسان المتكلم ، وفـي الرواية ضـمن الروايـة ، وفــي الميـتي ـ لغـوي ، وفــي تلويـات الأزمنـة والأمكنــة ، بينمــا ظللــت أنــا ملحقــاً بمجــازات تتــداولها الــصحافة ، وعبــارات مبتذلــة شــائعة حـصدها المتخصـصون بالمحليـات ، ووصـفات صـارخة يـساء فهمهـا لـدى بـورخيس ، ومتشبثاً قبل كل شيء بما وصفه أحد أساتذة الأدب بقرف: الـراوي العليم الـذي يعرف كل شـيء. ثالثـاً وأخيراً ، التحقيق الـصحفي الممتع عـن نيرودا الـذي كـان القـارئ يفضل بكل تأكيد أن يجده بين يديه بدلاً من هذه الرواية الوشيكة الـتي ستحاصره منذ الصفحة التالية ، والذي ربما كـان سيُخرجني مـن وضـعي المجهـول إلى بعـض الـشهرة ، لم يكـن إنجـازه ممكنـاً بـسبب مبدئيـة الـشاعر ولـيس بـسبب افتقـاري إلى الوقاحة. فقد قال لي بلطف لا تستحقه دناءة أهدافـي ، إن حبه الكبير الوحيد هـو زوجتـه الحاليـة ماتيلـدي اوروتيـا ، وإنـه لا يشعر بأي حماسة.ولا بأي اهتمـام لتقليب «ماضيه الشاحب» ، ثـم قـال لـي بـسخرية تـستحقها فعـلاً وقـاحتي فـي الطلـب منـه

كتابة مقدمة لكتاب لا يزال غير موجود، وهو يدفعني نحو الباب: «سأكتب لك المقدمة بكل سرور، ولكن عندما تنهي كتابة الكتاب».

وعلى أمل إنجازه، ظللتُ وقتاً طويلاً في إيسلا نيغرا، ومن أجل دعم الكسل الذي كان يداهمني في كل ليلة، وكل مساء وصباح أمام الورقة البيضاء، قررت الطواف حول بيت الشاعر، والطواف في أثناء ذلك حول من يطوفون حول البيت. وبهذه الطريقة تعرفت إلى شخصيات هذه الرواية.

أعرف أن أكثر من قارئ ملول سيتساءل كيف أمكن لمسترخٍ لا علاج له مثلي أن ينهي هذا الكتاب، حتى ولو كان صغيراً. والتفسير المعقول هو أنني تأخرت أربعة عشر عاماً لكتابته. أما إذا فكرنا في أن ماريو بارغاس يوسا على سبيل المثال، قد نشر خلال هذه الفترة روايات: *محادثة في الكاتدرائية*، *والخالة خوليا والكويتب*، *وبنتاليون والزائرات*، وحرب *نهاية العالم*، فإن هذا الرقم القياسي لا يدعوني إلى الافتخار.

إنما هنالك تفسير تكميلي ذو طابع عاطفي. فبياتريث غونثالث التي تناولتُ الغداء معها عدة مرات في أثناء زياراتها إلى محاكم سنتياغو، رغبتْ في أن أروي لها قصة ماريو، وقالت لي: «لا يهمني كم ستتأخر في ذلك، ولا كم من الأشياء ستختلقها». وبحصولي على مغفرتها المسبقة، فقد تعمدت ارتكاب النقيصتين كلتيهما.

في شهر حزيران 1969 كان هناك سببان اثنان، أحدهما حسن الطالع والآخر مبتذل، قادا ماريو خيمينث إلى استبدال مهنته. أولهما نفوره من مهنة صيد السمك التي تسحبه من الفراش منذ ما قبل الفجر، حين يكون مستغرقاً على الدوام تقريباً في أحلامه بغراميات جريئة، بطلاتها ممثلات كاويات جداً مثل من يراهن على شاشة السينما في سان أنطونيو. هذه الموهبة، ومعها ميله الواعي إلى الزكام، الحقيقي أو المتكلف، الذي يتعلل به كل يوم في أثناء إعداد معدات زورق أبيه، كانت تتيح له الاستمتاع بالدفء تحت بطانيات تشيلوتا السميكة، واستكمال أحلامه الغرامية، إلى أن يعود أبوه الصياد خوسيه خيمينث من أعالي البحر مبللاً وجائعاً، فيسعى إلى تسكين إحساسه بالذنب بإعداد الغداء له من خبز يطقطق وسلطات صاخبة من البندورة والبصل مع البقدونس والكزبرة، ويعدّ كذلك قرص أسبرين دراماتيكي يبتلعه حين تخترقه سخرية أبيه حتى العظام.

- ابحث لك عن عمل - كانت تلك هي الجملة المقتضبة القاسية التي ينهي بها الرجل نظراته الاتهامية التي قد تستمر عشر دقائق، ولكنها لم تكن تقل عن خمس دقائق على أي حال.

- أجل يا أبي - يزدّ ماريو وهو يمسح أنفه بكم سترته.

وإذا كان هذا هو السبب المبتذل والتافه لتخليه عن مهنة الصيد، فإنّ السبب السعيد لذلك هو امتلاكه دراجة زاهية من ماركة لينيانو، كان ماريو يستخدمها كل يوم ليستبدل أفق شاطئ الصيادين المقفر بمشهد ميناء سان أنطونيو، وهي مدينة صغيرة إلى حدّ ما، ولكنها بالمقارنة مع قريته كانت تذهله كما لو أنها نموذج للأبهة والترف البابلي. فمجرد تأمل أفيشات السينما بما فيها من صور نساء ذوات أفواه مرتعشة ورجال قساة يمضغون أطراف السيجار الهافاني بين أسنانهم الناصعة، كان يدخل في غيبوبة لا يخرج منها إلا بعد ساعتين من عرض شريط السليولويد، ليدير بعدها دواسة دراجته مغموماً في طريق عودته الروتينية المعهودة. وربما فعل ذلك أحياناً تحت وابل مطر ساحلي يلهمه حالات زكام ملحمية. ولكن سخاء أبيه لم يكن كبيراً إلى حدّ تشجيعه على ترفه، ولهذا كان ماريو خيمينث يضطر عدة أيام في الأسبوع، بسبب افتقاره إلى النقود، إلى القناعة بالذهاب إلى دكاكين بيع المجلات المستعملة، حيث يكتفي بملامسة صور ممثلاته المفضلات.

وفي أحد أيام التسكع اليائس تلك، اكتشف وجود إعلان على نافذة مكتب البريد، فلم يستطع مقاومة الفضول على الرغم من أن الإعلان كان مكتوباً بخط اليد على ورقة من دفتر رياضيات، وهي المادة المدرسية التي لم يبرز فيها قطّ خلال دراسته في المدرسة الابتدائية.

لم يكن ماريو خيمينث قد استخدم ربطة عنق طوال حياته، ولكنه قبل أن يدخل إلى المكتب رتب وضع ياقة قميصه وكأنه يضع ربطة عنق، وحاول ببعض النجاح أن

يُسرّح بضربتين من مشطه، شعره المسترسل على كتفيه الذي ورثه عن صور لفريق البيتلز.

- إنني آت من أجل الإعلان - قال ذلك للموظف وهو يبتسم ابتسامة ينافس بها ابتسامة بيرت لانكستر.

سأله الموظف بضجر:

- هل تملك دراجة؟

وردّ قلبه وشفتاه بالجواب المقتضب:

- أجل.

فقال الموظف وهو يمسح نظارته:

- حسن، إنها وظيفة موزع بريد في إيسلا نيغرا.

وقال ماريو:

- يا للمصادفة. أنا أعيش قريباً منها، في المرسى.

- هذا جيد. ولكن السيئ في الأمر هو أن هناك زبوناً واحداً فقط.

- زبون واحد فقط.

- أجل. فالجميع على ذلك الشاطئ أميون. لا يمكنهم أن يقرؤوا حتى حساباتهم.

- ومن هو الزبون؟

- بابلو نيرودا.

ابتلع ماريو خيمينث ما بدا لتراً من اللعاب:

- رائع!

- رائع؟ إنه يتلقى كيلوغرامات من الرسائل يومياً. وحين تقود الدراجة وأنت تحمل حقيبة البريد على ظهرك ستكون كمن يحمل فيلاً على كاهله. ساعي البريد الذي كان يعمل هناك أُحيل على المعاش بعد أن أصبح أحدب مثل جمل.

- ولكنني مازلت في السابعة عشرة من عمري.

- وهل أنت سليم البنية؟

- أنا؟ إنني مثل الحديد. لم أُصب بالزكام مرة واحدة في حياتي.

أنزل الموظف النظارة إلى حافة أنفه وتطلع من فوق إطارها.

ـ الراتب بائس، مجرد براز. سعاة البريد الآخرون يستفيدون من الإكراميات. ولكنك مع زبون واحد لن تحصل على ما يكفيك ولو لمشاهدة السينما مرة واحدة في الأسبوع.

- أريد الوظيفة.

- حسن. اسمي كوسمي.

- كوسمي.

- عليك أن تدعوني «دون كوسمي».

- حاضر يا دون كوسمي.

- وأنا رئيسك.

- أجل، رئيسي.

رفع الرجل قلم حبر جاف أزرق، ونفخ عليه أنفاسه لتدفئة الحبر، وسأله دون أن ينظر إليه:

ـ الاسم؟

وكان ردّ ماريو خيمينث الوحيد:

ـ ماريو خيمينث.

وما إن انتهى من إعطاء هذا البلاغ الحيوي، حتى ذهب إلى النافذة، ونزع عنها الإعلان، ودسه في أعمق جيب بنطاله الخلفي.

ما لم يستطع تحقيقه المحيط الهادي بصبره الذي يشبه الأبدية، حققه مكتب بريد سان أنطونيو الصغير والعذب. فلم يعد ماريو خيمينث يستيقظ منذ الفجر وهو يصفر، بأنف سائل ورياضي، وحسب، وإنما واظب كذلك على وظيفته بدقة وانتظام جعلا الموظف العجوز كوسمي يأتمنه على مفتاح المكتب، مفكراً في أنه ربما يحسم أمره يوماً ويُقدم على مأثرة يحلم بها منذ الأزل: أن ينام في الصباح إلى وقت متأخر يصل معه إلى موعد القيلولة، وأن ينام قيلولة طويلة تستمر حتى موعد النوم ليلاً، وأن ينام ليلاً بعمق وراحة بحيث يشعر في اليوم التالي ولأول مرة، بالرغبة في العمل، هذه الرغبة التي تشع من ماريو ويجهل كوسمي تفاصيلها.

من الراتب الأول الذي تلقاه، وهو يُدفع بعد شهر ونصف الشهر من مباشرة العمل، مثلما هي العادة في تشيلي، اشترى ساعي البريد ماريو خيمينث الأشياء التالية: زجاجة نبيذ كوستينيو ماكول معتق لوالده، وبطاقة دخول إلى السينما استمتع بفضلها بمشاهدة فيلم *قصة الحي الغربي* بمن في ذلك الممثلة ناتالي وود، ومشطاً فولاذياً ألمانياً من سوق سان أنطونيو، من دلاّل كان يعرض بضاعته مردداً عبارة مأثورة: «ألمانيا خسرت الحرب، ولكنها لم تخسر الصناعة. أمشاط لا تصدأ ماركة سولنجر»، واشترى كذلك نسخة بطبعة لوسادا من ديوان *أغنيات بدائية* لزبونه وجاره بابلو نيرودا.

وكان ينوي انتهاز لحظة يكون فيها الشاعر رائق المزاج، ليقدم إليه الكتاب ويطلب منه كتابة إهداء عليه، ليتبجح به أمام نساء مُتَخَلّات، ولكنهن جميلات، سيتعرف عليهن يوماً في سان أنطونيو أو في سنتياغو، أو في أي مكان آخر سيذهب إليه براتبه الثاني. وقد أراد الإقدام على ما انتواه في عدة مناسبات، وكان يمنعه من ذلك شرود الشاعر وهو يتلقى رسائله، والسرعة التي يمنحه بها الإكرامية (في مناسبات أكثر من منتظمة)، وملامحه كرجل مقلوب عميقاً نحو الداخل. وخلال شهرين لم يستطع ماريو، بحساباته الطيبة، أن يتجنب الإحساس بأنه كلما قرع الجرس يغتال وحي الشاعر الذي يكون متأهباً لاقتراف أشعار عبقرية. وكان نيرودا يتناول حزمة الرسائل، ويمنحه قطعتين نقديتين مودعاً إياه بابتسامة متثاقلة مثل نظراته. ومنذ تلك اللحظة وحتى نهاية النهار يبقى ساعي البريد حاملاً *الأغنيات البدائية* على أمل أن يستجمع الشجاعة اللازمة يوماً. لقد قلّب الكتاب كثيراً، وداعبه كثيراً، ووضعه كثيراً في حضنه تحت عمود النور في الساحة، كي يعطي لنفسه مظهر المثقف أمام الفتيات اللواتي لا يعرفنه، حتى انتهى به الأمر إلى قراءة الكتاب. بهذه الحيثيات صار يرى أنه يستحق نيل فُتات من اهتمام الشاعر. وفي صباح يوم ذي شمس شتائية، دس له الكتاب مع الرسائل، وأرفق ذلك بعبارة كان قد تدرب عليها كثيراً أمام واجهات محلات عديدة:

- ضع عليه توقيعك المليونيري أيها المعلم.

وكان إرضاء رغبته بالنسبة إلى الشاعر إجراءً روتينياً، ولكنه ما إن أنهى هذا الواجب السريع، حتى ودعه باللباقة

الحاسمة التي تميزه. بدأ ماريو بتفحص الإهداء وتوصل في النتيجة إلى أن عبارة «مع مودتي، بابلو نيرودا» لن يكون لها مفعول يستحق الذكر مع إغفال اسمه. فقرر إقامة نوع من العلاقة مع الشاعر تتيح له يوماً التكريم بإهداء يذكر فيه الشاعر بحبره الأخضر اسمه وكنيته على الأقل: ماريو خيمينث. ومع ذلك، فإن عبارة من نوع «إلى صديقي الحميم ماريو خيمينث، بابلو نيرودا» كانت تبدو له متفائلة جداً. طرح ما يجول في نفسه على موظف التلغراف كوسمي الذي ذكره بأن مصلحة البريد في تشيلي تحظر على سعاتها إزعاج زبائنها بطلبات غير عادية، ثم أخبره بعد ذلك أنه لا يمكن إهداء الكتاب نفسه مرتين. وهذا يعني أنّه لن يكون من اللائق بأي حال الطلب من الشاعر - مهما كان شيوعياً - أن يشطب كلماته ويستبدلها بكلمات أخرى.

استصوب ماريو خيمينث الملاحظة، وحين تلقى راتبه الثاني في مغلف رسمي، اشترى، بإحساس بالتتالي، طبعة لوسادا من ديوان *أغنيات بدائية جديدة*. وقد أحس بشيء من الضيق وهو يتخلى عن حلمه بالسفر إلى سنتياغو، ثم شعر بالخوف عندما قال له صاحب المكتبة الماكر: «سأحتفظ لك بنسخة من ديوان *كتاب الأغنيات الثالث* للشهر القادم».

ولكن أياً من هذين الكتابين لم يحمل توقيع الشاعر. ففي صباحٍ آخر ذي شمس شتائية، مشابه تماماً ليوم آخر لم يوصف بالتفصيل من قبل، أهدى الإهداء إلى النسيان. ولكنه لم يفعل ذلك بالشعر.

لم يخطر ببال الشاب ماريو الذي ترعرع وسط الصيادين أن بريد ذلك اليوم يحمل صنارة سيعلق بها الشاعر. فما إن سلمه الرزمة حتى ميز الشاعر بدقة رسالة بينها، وسارع إلى فتحها أمام عيني ساعي البريد. هذا السلوك الذي لا سابقة له، والمتناقض مع جدّية الشاعر ورصانته، شجع ساعي البريد على البدء باستجواب، بل ولماذا لا نقول على البدء بصداقة.

ـ لماذا تفتح هذه الرسالة قبل سواها؟

ـ لأنها من السويد.

ـ وما هو الشيء الخاص في السويد سوى السويديات؟

وبالرغم من أنه كانت لبابلو نيرودا رموش لا ترمش، إلا أنه رمش حينذاك.

ـ جائزة نوبل للآداب يا بني.

ـ سيعطونك إياها.

ـ إذا أعطوني إياها فلن أرفضها.

ـ وكم تبلغ قيمتها من النقود؟

الشاعر الذي كان قد وصل إلى جوهر الرسالة، قال دون تفخيم:

ـ مئة وخمسون ألفاً ومئتان وخمسون دولاراً.

وفكر ماريو في أن يمزح قائلاً: «وخمسون سنتاً»، ولكن غريزته كبحت تماديه في الوقاحة، وسأله بدلاً من ذلك بأفضل ما لديه من التهذيب:

- ثم؟

- همم؟

- هل سيعطونك جائزة نوبل؟

- ممكن، ولكن هناك مرشحين أوفر حظاً هذه السنة.

- لماذا؟

- لأنهم كتبوا أعمالاً عظيمة.

- وماذا عن الرسائل الأخرى؟

فتنهد الشاعر:

- سأقرؤها فيما بعد.

- آه!

أحس ماريو باقتراب نهاية الحوار، فاستسلم إلى شرود يشبه شرود زبونه المفضل والوحيد، ولكنه كان شروداً جذرياً أجبر الشاعر على سؤاله:

- بماذا تفكر؟

- بما تقوله الرسائل الأخرى. أهي رسائل حب؟

فتنحنح الشاعر المربوع:

- إنني متزوج يا رجل! حذار أن تسمعك ماتيلدي!

- المعذرة يا دون بابلو.

بحث نيرودا في جيبه وأخرج ورقة نقدية «أكبر من المعتاد». فقال ساعي البريد «شكراً» وهو غير مغموم من المبلغ قدر غمه من الوداع الوشيك. وبدا كما لو أن هذا الحزن نفسه قد شلّه إلى حد مثير للقلق. فلم يستطع الشاعر الذي كان يستعد للدخول إلا الاهتمام بهذا الوجوم الواضح.

- ماذا أصابك؟

- دون بابلو؟

- إنك تقف جامداً مثل عمود.

أمال ماريو عنقه وبحث عن عيني الشاعر من أسفل:

- مغروساً مثل رمح؟

- لا، ساكناً مثل قلعة على رقعة شطرنج.

- أشد هدوءاً من هرّ خزفي؟

أفلت نيرودا قبضة الباب، وداعب ذقنه.

- يا ماريو خيمينث، لدي كتب أخرى أفضل بكثير من *أغنيات بدائية*. من المشين أن تُخضعني لكل أنواع المقارنات والمجازات والاستعارات.

- دون بابلو؟

- الاستعارات يا رجل!

- وما هي هذه الأشياء؟

وضع الشاعر يده على كتف الشاب:

- لكي أوضح لك ذلك بصورة تقريبية غير دقيقة، أقول

إنها أساليب لقول شيء بمقارنته بشيء آخر.

- أعطني مثالاً.

نظر نيرودا إلى ساعته وتنهد:

- حسن، عندما تقول إن السماء تبكي، ما الذي تعنيه بقولك؟

- يا للسهولة! هذا يعني أنها تمطر.

- حسن، هذه استعارة.

- مادام شيئاً سهلاً إلى هذا الحد، فلماذا يطلقون عليه اسماً معقداً؟

- لأن الأسماء لا علاقة لها ببساطة الأشياء أو تعقيدها. وحسب نظريتك، فإن شيئاً صغيراً يطير لا يمكن أن يكون له اسم طويل مثل mariposa (فراشة). فكر كيف أن كلمة elefante (فيل) تتألف من عدد الحروف نفسه مع أن الفيل أكبر بكثير جداً من الفراشة، ولا يطير.

انتهى نيرودا من قول ذلك مستنفداً. وببقية حماسة لديه أشار لماريو نحو الشاطئ. ولكن ساعي البريد امتلك الجرأة ليقول:

- أحب أن أصير شاعراً.

- وما الذي تريد قوله؟

- حسن، هذه هي المشكلة بالضبط. فأنا لا استطيع قول ذلك لأني لست شاعراً.

قطب الشاعر حاجبيه فوق أنفه:

ـ ماريو؟

ـ دون بابلو؟

ـ سأودعك وأغلق الباب.

ـ أجل، يا دون بابلو.

ـ إلى اللقاء غداً.

ـ إلى اللقاء غداً.

ألقى نيرودا نظرة متفحصة على بقية الرسائل، ثم فتح الباب قليلاً. كان ساعي البريد يتأمل الغيوم وهو يقاطع ذراعيه فوق صدره. جاء الشاعر إلى جانبه ونقر بإصبعه على كتفه. فنظر إليه الشاب ساهماً دون أن يغير وقفته.

ـ فتحتُ الباب ثانية لأنني أحسست أنك لا تزال هنا.

ـ لقد بقيت أفكر.

ضغط نيرودا بأصابعه على مرفق ساعي البريد، واقتاده بإصرار نحو عمود النور حيث أسند دراجته.

ـ وهل تبقى جامداً في مكانك إذا أردت التفكير؟ إذا أردت أن تصير شاعراً فابدأ بالتفكير ماشياً. أم أنك مثل جون واين الذي لا يستطيع المشي ومضغ اللبان في الوقت نفسه؟ ستذهب الآن إلى المرسى عن طريق الشاطئ، وأثناء مراقبتك البحر، تستطيع أن تبدأ بابتكار الاستعارات.

ـ أعطني مثالاً!

ـ تأمل هذه القصيدة: «هنا في الجزيرة، البحر، ويا له من بحر. يخرج من نفسه كل لحظة. يقول نعم، يقول لا. يقول

نعم بالأزرق، بالزبد، بالعَدو. يقول لا، لا. لا يستطيع البقاء ساكناً. اسمي البحر، يقول وهو يرتطم بصخرة دون أن يستطيع إقناعها. وعندئذ، بسبعة ألسن خضراء، لسبعة نمور خضراء، لسبعة كلاب خضراء، لسبعة بحورٍ خضراء، يجتاحها، يقبلها، يبللها، ويضرب صدره مردداً اسمه». ـ توقف الشاعر راضياً، ثم قال: ـ ما رأيك؟

ـ غريب.

ـ «غريب»؟ يا لك من ناقد صارم!

ـ لا يا دون بابلو. ليس الغريب هو القصيدة. الغريب هو ما كنتُ أشعر به وأنت تلقي القصيدة.

ـ عزيزي ماريو، ليتك توضح ما تعنيه قليلاً، لأنني لا أستطيع قضاء الصباح كله في الاستمتاع بحديثك.

ـ كيف أشرح ذلك؟ عندما كنت تلقي القصيدة، كانت الكلمات تذهب وتجيء من هنا إلى هناك.

ـ مثل البحر إذاً!

ـ أجل، كانت تتحرك مثل البحر.

ـ هذا هو الإيقاع.

ـ وشعرت بإحساس غريب، لأن كثرة الحركة أصابتني بالدوار.

ـ أُصبت بالدوار؟

ـ طبعاً! فقد كنتُ أتأرجح مثل سفينة على كلماتك.

انفرجت أسارير الشاعر ببطء"

ـ «مثل سفينة تتأرجح على كلماتي».

ـ طبعاً!

ـ أتعرف ما الذي فعلته يا ماريو؟

ـ ماذا فعلت؟

ـ استعارة.

ـ هذا لا ينفع، لأنها خرجت بمحض الصدفة وحسب.

ـ ليس هناك من صورة لا تأتي بمحض الصدفة يا بني.

رفع ماريو يده إلى قلبه، وأراد أن يكبح خفقة مندفعة تصعد حتى لسانه، وتحاول الانفجار بين أسنانه. أوقف مسارها، ورفع إصبعه بتهور على بعد سنتمترات من أنف زبونه اللامع، وقال:

ـ هل تعتقد أن العالم كله، وأنا أعني كل العالم، بما في ذلك الرياح، والبحار، والأشجار، والجبال، والنار، والحيوانات، والبيوت، والصحارى، والأمطار...

ـ ... يمكنك الآن أن تقول «إلى آخره».

ـ ... والـ إلى آخره! هل تعتقد حضرتك أن العالم كله هو استعارة لشيء آخر؟

فتح نيرودا فمه، وبدت ذقنه الممتلئة كأنها ستنفصل عن وجهه.

ـ هل هذا السؤال الذي سألتك إياه غبي يا دون بابلو؟

ـ لا يا رجل، لا.

ـ لقد صار وجهك غريباً جداً.

ـ لا ، كل ما هنالك أنني استغرقت في التفكير.

هشّ بيده سحابة دخان وهمية ، ورفع بنطاله المنزلق، ثم قال وهو يغرس سبابته في صدر الشاب:

ـ انظر يا ماريو. دعنا نعقد اتفاقاً. أنا سأذهب الآن إلى المطبخ، وسأصنع أومليت أسبرين كي أفكر في سؤالك، وغداً سأعطيك رأيي.

ـ هل تتكلم بجد يا دون بابلو؟

ـ أجل يا رجل، أجل. إلى اللقاء غداً.

عاد إلى بيته ، وعندما أصبح بجانب الباب، استند إلى خشبه وقاطع ذراعيه بصبر.

فقال له ماريو صارخاً:

ـ ألن تدخل إلى البيت؟

ـ آه، لا. سأنتظر هذه المرة حتى تذهب.

أبعد ساعي البريد دراجته عن عمود النور ، ورن جرسها بطرب، ثم قال وهو يبتسم ابتسامة واسعة أحاطت بالشاعر وبما حوله:

ـ إلى اللقاء يا دون بابلو.

ـ إلى اللقاء أيها الشاب.

نفّذ ساعي البريد كلمات الشاعر بحذافيرها، واتخذ طريقه إلى المرسى متأملاً تموج البحر. وبالرغم من أن الأمواج كانت كثيرة، والظهيرة نقية لا تشوبها شائبة، والرمال لَيِّنة والنسيم عليل، إلا أنه لم يفلح في التوصل إلى أية استعارات. فكل ما كان في البحر من بلاغة، تحوّل فيه إلى بُكم، إلى بحة مؤثرة بدت له حتى الحجارة نفسها ثرثارة بالمقارنة معه.

ولضيقه من مجافاة الطبيعة له، تحمس لمواصلة المسير حتى الحانة الصغيرة ليعزي نفسه بزجاجة نبيذ، وليجد بطّالاً في الحانة يتحداه في دور بلعبة البيبي فوت. فلعدم وجود ملعب رياضي في القرية، كان الصيادون الشباب يُشبعون نهمهم الرياضي بحني ظهورهم فوق مائدة كرة القدم المصغرة (بيبي فوت).

من بعيد وصله دوي الضربات المعدنية ترافقه موسيقى وورليتزر التي كانت تخدش أثلام اسطوانة حب كثير بأداء لوس رامبليرس، والتي كانت رائجة قبل نحو عقد من الزمان في العاصمة، ولكنها مازالت راهنة في القرية الصغيرة. ولإحساسه بأن الغم سيزيد من ضجر الروتين، فقد دخل إلى المحل مستعداً لتحويل إكرامية الشاعر إلى نبيذ، وعندئذ داهمته نشوة أكثر اكتمالاً من نشوة أي عصير عنب عرفها

فـي حياتـه القـصيرة: فقـد كانـت تلعـب بـدمى البـيبي فـوت الزرقـاء الـصدئة أجمـل فتـاة يتـذكـر أنـه رآهـا، بمـن فـي ذلـك الممـثلات، وحاجبـات دور الـسينما، ومـصففات الـشعر، وتلميذات المدارس، والسائحات، وبائعات الإسطوانات. ومع أن تلهفه إلى الفتـاة كـان يعـادل خجلـه ـ وهـو وضـع كـان يطهـوه بالإحبـاط ـ فقـد تقـدم هـذه المـرة نحـو منـضدة البـيبي فـوت بجـسارة انعـدام الـوعي. توقـف وراء المرمـى الأحمـر، وأخفـى بأفضل ما لديه من عدم المبـالاة انبهـاره مرفقاً حركـة الكـرة بعينـين متقـافزتين، وعنـدما رنّـت الفتـاة معـدن المرمـى بهـدف، رفـع بـصره نحوهـا وهـو يبتـسم أشـد الابتـسامات التـي اسـتطاع ارتجالها إغـواء. فـردت هـي علـى تلـك الالتفاتـة الوديـة بحركـة دعته فيها إلى تولي زمام صف الهجوم فـي الفريـق الخـصم. لم ينتبه ماريو تقريباً إلى أن الفتـاة تلعـب ضـد صـديقة لها، وانتبـه إلى ذلك فقط عندما ضربها بمؤخرته مزيحاً إياها نحو الدفاع. لقد كانت قليلة المرات التـي كـان لـه فـيها قلـب بهـذا العنـف. فقـد كـان الـدم يُضخ بقـوة إلى حـدّ رفـع معـه يـده إلى صـدره ليهـدئ مـن اندفاعـه. عندئـذ ضـربت هـي الكـرة البيـضاء الصغيرة بحافة المنضدة، وقامت بحركة وضعتها فـي الـدائرة المركزيـة الممحـوة بفعـل تـوالي العقـود، وعنـدما اسـتعد مـاريو للمنـاورة بالمقبـضين ليبهرهـا بمهـارة معـصميه، رفعـت الفتـاة الكـرة ووضعتها بين صفـي أسنان لمعت بارقـة فـي ذلـك الفنـاء البـائس، موحيـة لـه بمطـر فـضي. وعلـى الفـور قرّبـت جـذعها المحشور فـي بلوزة أصغر بنمرتين مما يتطلبه نهداها المقنعين، ودعته إلى تناول الكرة من فمها. وبينما هـو متردد بـين الإذلال والتنويم، رفـع سـاعي البريـد يـده اليمنـى بـتردد، وحـين صـارت أصابعه على وشـك لمس الكـرة، تفادتـه الفتـاة وأبقـت ابتـسامتها

الساخرة ذراعه معلقة في الهواء، كما في نخب مضحك للاحتفال دون كأس ودون شمبانيا، بحب لن يتجسد أبداً. ثم أرجحت بعد ذلك جسدها وهي تتجه إلى البار وبدت ساقاها كأنهما ترقصان على موسيقى أكثر إثارة للتلوي من تلك التي يقدمها لوس رامبليرس. لم يكن ماريو بحاجة إلى مرآة ليعرف أن وجهه كان أحمر ورطباً. وقفت الفتاة الأخرى في المكان الذي هجرته زميلتها، وأرادت أن توقظه من غيبوبته بضربة قوية من الكرة على إطار المنضدة. رفع ساعي البريد بصره بصمت من الكرة إلى عيني خصمه الجديد، وبالرغم من أنه اعتبر نفسه أخرق في شؤون التشبيهات والمجازات حين كان قبالة المحيط الهادي، إلا أنه قال لنفسه بغضب إن اللعب الذي تدعوه إليه هذه القروية الشاحبة سيكون: آ) أكثر مللاً من الرقص مع الأخت. ب) أشد ضجراً من يوم أحد دون كرة قدم. ج) مسلياً مثل سباق في الجري بين حلزونات.

ودون أن يوجه لها رمشة وداع واحدة، اقتفى أثر معبودته نحو كونتوار البار، وهوى على كرسي كما لو أنه ينهار على مقعد في صالة السينما، وتأملها مذهولاً لدقائق طويلة، بينما كانت الفتاة تطلق أنفاسها على الكؤوس الرخيصة ثم تفركها بفوطة مطرزة إلى أن تصبح نظيفة لا تشوبها شائبة.

كان لدى موظف التلغراف كوسمي مبدآن اثنان: الاشتراكية التي يخطب في مرؤوسيه دائماً لمصلحتها، وهو يفعل ذلك بطريقة لا طائل منها، لأن الجميع كانوا مقتنعين بالاشتراكية أو من نشطائها، والمبدأ الثاني هو استخدامه الدائم لقبعة البريد داخل المكتب. وكان بإمكانه أن يغفر لماريو ذلك الشعر الطويل المتشابك الذي يتجاوز قَصَّة البيتلز بجذوره البروليتارية، وأن يتسامح معه بشأن سراويل البلوجينز الملطخة ببقع الزيت من ترس الدراجة، وسترة العامل حائلة اللون، وعادته في سبر أنفه بإصبعه الخنصر؛ ولكن دمه كان يغلي عندما يراه قادماً دون القبعة. ولهذا، حين دخل ساعي البريد مغموماً واتجه نحو منضدة تصنيف الرسائل وقال بصوت منهوك «صباح الخير»، أوقفه كوسمي بإصبعه في عنقه، واقتاده إلى المشجب حيث يعلق القبعة، وألبسه إياها بقوة غطست معها حتى حاجبيه، وعندئذ فقط دعاه إلى إعادة التحية.

ـ صباح الخير أيها الرئيس.

فزمجر:

ـ صباح الخير.

ـ هل توجد رسائل للشاعر؟

- الكثير. وهنالك برقية أيضاً.

- برقية؟

رفع الشاب البرقية وحاول أن يعرف من خلال الضوء مضمونها، وبعد لحظة كان في الشارع يمتطي دراجته. وكان قد بدأ إدارة الدواسة عندما صرخ به كوسمي من الباب وهو يحمل بقيه البريد في يده:

- تركتَ بقية الرسائل.

فقال له وهو يبتعد:

- سآخذها في ما بعد.

وصرخ كوسمي:

- أنت أحمق. ستضطر إلى الذهاب مرتين.

- لستُ أحمق على الإطلاق أيها الرئيس. فهكذا سأرى الشاعر مرتين.

وعند بوابة بيت نيرودا تعلّق دون أي تعقل بالحبل الذي يُقرع به الجرس. ولكن ثلاث دقائق من التعلق بالحبل لم تؤدِ إلى حضور الشاعر. عندئذ أسند الدراجة إلى عمود النور، وركض بما تبقى لديه من قوة نحو صخور الشاطئ، حيث وجد نيرودا جاثياً يحفر في الرمل. فصرخ وهو يقفز فوق الصخور مقترباً منه:

- لقد حالفني الحظ بالعثور عليك. توجد برقية لك!

- لقد جئتَ باكراً يا فتى.

وصل ماريو إلى جانبه، وأهدى إلى الشاعر عشر ثوانٍ من

اللهاث قبل أن يسترد أنفاسه.

- لا يهمني. لقد حالفني كثير من الحظ، لأنني بحاجة إلى التحدث معك.

- لا بد أن يكون الأمر مهماً جداً. فأنت تلهث مثل حصان.

مسح ماريو العرق عن جبهته بيده، وجفف البرقية على فخذيه، ووضعها في يد الشاعر. ثم أعلن بوقار:

- دون بابلو. إنني عاشق.

استخدم الشاعر البرقية كمروحة، وراح يهزها أمام ذقنه. ورد عليه قائلاً:

- حسن، ليس هذا بالأمر الخطير. إن له علاجاً على أي حال.

- علاج؟ إذا كان هناك علاج فأنا أريد أن أبقى مريضاً وحسب. إنني عاشق، عاشق حتى الضياع.

صوت الشاعر الذي كان بطيئاً في العادة، بدا هذه المرة كأنه يُفلت حجرين بدل الكلمتين:

- ومن هي؟

- دون بابلو؟

- من هي يا رجل؟

- اسمها بياتريث.

- أطياف دانتي!

- دون بابلو؟

ـ كان هناك شاعر أحب واحدة تدعى بياتريث. البياتريثات يُسبّبن غراميات استثنائية.

شهر ساعي البريد قلمه «البك» الجاف، وحك به على راحة يده اليسرى.

ـ ماذا تفعل؟

ـ أكتب اسم هذا الشاعر. دانتي.

ـ دانتي أليجيري.

ـ أليجيري تبدأ بـ H.

ـ لا يا رجل، تبدأ بـ A.

ـ A مثل «amapola»؟

ـ أجل، مثل «amapola» و«apio».

ـ دون بابلو؟

أخرج الشاعر قلم حبر جاف أخضر، ووضع كف الشاب على الصخرة، وكتب الاسم بحروف مفخمة. وعندما كان يستعد لفتح البرقية، ضرب ماريو راحته المجيدة بجبهته، وتنهد:

ـ دون بابلو، إنني عاشق.

ـ لقد قلتَ هذا من قبل. وبأي شيء يمكنني أن أفيدك؟

ـ عليك أن تساعدني.

ـ وأنا في هذه السن!

ـ يجب أن تساعدني، لأني لا أعرف ماذا أقول لها. أراها

أمامي فأصبح كأنني أبكم. لا تخرج مني كلمة واحدة.

- ماذا! ألم تكلمها؟

- لا شيء تقريباً. لقد خرجتُ أمس لأتمشى على الشاطئ مثلما قلتَ لي. تأملتُ البحر طويلاً ولم تخطر لي أية استعارات. عندئذ دخلت إلى الحانة واشتريت زجاجة نبيذ. حسن، كانت هي نفسها من باعتني الزجاجة.

- بياتريث.

- أجل، بياتريث. وظللتُ أنظر إليها وعشقتها.

حكّ نيرودا صلعته الهادئة بنهاية القلم:

- بهذه السرعة.

- لا ، ليس بهذه السرعة. لقد بقيت أنظر إليها حوالي عشر دقائق.

- وهي؟

- هي قالت لي: «لماذا تنظر إليّ، هل هناك عفاريت في وجهي؟»

- وأنت؟

- أنا لم يخطر لي قول أي شيء.

- ولا أي شيء على الإطلاق؟ ألم تقل لها كلمة واحدة؟

- ليس إلى حدّ عدم قول أي شيء على الإطلاق. لقد قلت لها خمس كلمات.

- وما هي هذه الكلمات؟

ـ ما هو اسمكِ؟

ـ وهي؟

ـ هي قالت «بياتريث غونثالث».

ـ سألتَها «ما هو اسمك». حسن، هذا يعني ثلاث كلمات. ما هما الكلمتان الأخريان؟

ـ «بياتريث غونثالث».

ـ «بياتريث غونثالث»؟

ـ أجل، هي قالت لي «بياتريث غونثالث»، وعندئذ كررت أنا القول «بياتريث غونثالث».

ـ يا بني، أنت جئتني ببرقية مستعجلة وإذا واصلنا الكلام عن بياتريث غونثالث، فسوف يتعفن الخبر بين يديّ.

ـ حسن، افتحها.

ـ أنت ساعي بريد، ويجب أن تعرف بحكم عملك أن المراسلات شأن شخصي.

ـ أنا لم أفتح قط أي واحدة من رسائلك.

ـ لم أقل هذا. ما أعنيه هو أن للمرء الحق بقراءة رسائله براحة، دون رقباء أو شهود.

ـ فهمت يا دون بابلو.

ـ يسعدني ذلك.

أحس ماريو بالغم يداهمه، وكان أشد عنفاً من عرقه. فهمس بصوت ماكر:

- إلى اللقاء أيها الشاعر.

- إلى اللقاء يا ماريو.

مدّ له الشاعر ورقة نقدية من الصنف «الجيد جداً» على أمل إنهاء الحديث بفنون السخاء. لكن ماريو تأمل الورقة النقدية محتضراً، وردها إليه قائلاً:

ـ إذا لم يكن هناك إزعاج كبير، فإنني أُفضل أن تكتب لي قصيدة عن بياتريث بدل أن تعطيني نقوداً.

لم يكن نيرودا قد ركض منذ سنوات، ولكنه أحس في تلك اللحظة بالحاجة إلى الاختفاء من ذلك المشهد كله، مع تلك الطيور المهاجرة التي غنى لها بيكر* بعذوبة شديدة. ثم مضى مبتعداً عن الشاطئ بالسرعة التي تتيحها له سنوات عمره وطاقة جسده وهو يرفع ذراعيه نحو السماء.

- ولكنني لا أعرفها حتى مجرد معرفة. لابد للشاعر من أن يعرف الشخص المعني حتى يأتيه الإلهام. لا يمكنني أن أختلق شيئاً من الفراغ.

فلاحقه ساعي البريد:

- انظر أيها الشاعر. إذا كنت ستثير كل هذه المشاكل من أجل مجرد قصيدة، فلن تنال جائزة نوبل أبداً.

توقف نيرودا مختنقاً:

- انظر يا ماريو، أرجوك أن تقرصني كي أستيقظ من

---

* بيكر: (Gustavo Adoleo Becquer) شاعر وكاتب إسباني. ولد في اشبيليا (1836- 1870). أحد أبرز الشعراء الرومنسيين الإسبان. كانت أشعاره، ومازالت، تلقى رواجاً شعبياً واسعاً.

هذا الكابوس.

- ماذا تريدني أن أقول لك إذاً يا دون بابلو؟ أنت الشخص الوحيد الذي يمكنه مساعدتي في هذه القرية. فالآخرون هنا صيادون، وجميعهم لا يعرفون قول أي شيء.

- ولكن هؤلاء الصيادين أحبوا أيضاً، واستطاعوا أن يقولوا شيئاً للفتيات اللواتي أحبوهن.

- إنهم مجرد رؤوس أسماك!

- ولكنهم أحبوا وتزوجوا من فتياتهم. ماذا يشتغل أبوك؟

- إنه صياد.

- أرأيت! لا بد أنه تحدث يوماً مع أمك، ليقنعها على الأقل بالزواج منه.

- دون بابلو، المقارنة غير نافعة، لأن بياتريث أجمل من أمي بكثير.

- عزيزي ماريو، لم أعد قادراً على مقاومة الفضول لقراءة البرقية. أتسمح لي بذلك؟

- بكل سرور.

- شكراً.

أراد نيرودا أن يفتح مغلف البرقية، ولكنه مزقها في أثناء ذلك. فوقف ماريو على رؤوس أصابعه محاولاً التلصص على مضمون الرسالة من فوق كتفه.

- ليست من السويد، أليس كذلك؟

- لا.

- أتعتقد أنهم سيمنحونك جائزة نوبل هذه السنة؟

- لم يعد يهمني ذلك. فمن المغيظ رؤية اسمي في المنافسات السنوية، كما لو أنني حصان سباق.

- ممن هذه البرقية إذن؟

- من اللجنة المركزية للحزب.

أبدى الشاعر وجوماً مأسوياً.

- أيها الفتى، ألا يكون هذا اليوم هو الأربعاء، الثالث عشر من الشهر؟

- أهي أخبار سيئة؟

- بل مشؤومة! يعرضون عليّ أن أكون مرشحاً لرئاسة الجمهورية!

- ولكن هذا رائع يا دون بابلو!

- الترشيح رائع. ولكن، ماذا سيحدث إذا جرى انتخابي؟

- طبعاً سيجري انتخابك. فالعالم بأسره يعرفك. في بيت أبي يوجد كتاب واحد فقط، وهو من تأليفك.

- وماذا يعني ذلك؟

- كيف تقول ماذا يعني؟ إذا كان أبي لا يعرف القراءة ولا الكتابة ولديه كتاب لك، فهذا يعني أننا سنكسب.

- «سنكسب»؟

- طبعاً، أنا سأصوت لك في كل الأحوال.

- أشكر دعمك.

طوى نيرودا بقايا البرقية ودفنها في جيب بنطاله الخلفي. وكان ساعي البريد ينظر إليه بنداوة في عينيه ذكّرت الشاعر بجروٍ تحت المطر في مسقط رأسه برّال.

قال دون أي امتعاض:

ـ سنذهب الآن إلى الحانة لنتعرف على هذه الشهيرة بياتريث غونثالث.

ـ أنت تمزح يا دون بابلو.

ـ أتكلم بجد. سنذهب إلى البار، نتذوق هناك كأساً من النبيذ، ونلقي نظرة على العروسة.

ـ ستموت من التأثر إذا ما رأتنا معاً. بابلو نيرودا وماريو خيمينث يشربان النبيذ معاً في الحانة! إنها ستموت!

ـ سيكون ذلك محزناً. لأننا بدل أن نكتب لها قصيدة، سنوصي لها عندئذ على لوحة لقبرها.

انطلق الشاعر يمشي بحماسة، ولكنه حين لاحظ أن ماريو بقي متخلفاً ينظر مبهوتاً إلى الأفق، استدار وقال له:

ـ ما الذي يحدث الآن؟

وصل ساعي البريد إلى جواره على الفور راكضاً، ونظر إلى عينيه:

ـ إذا ما تزوجت من بياتريث خيمينث، هل توافق يا دون بابلو أن تكون اشبيني في الزفاف؟

داعب نيرودا ذقنه الحليقة جيداً، وتظاهر بأنه يفكر في الجواب، ثم رفع بعد ذلك إصبعه بحسم إلى جبهته:

ـ بعد أن نشرب النبيذ في الحانة، سنتخذ قراراً حاسماً في القضيتين كلتيهما.

ـ أي قضيتين؟

ـ رئاسة الجمهورية وبياتريث غونثالث.

حين رأى صيادٌ في الحانة بابلو نيرودا يرافقه شاب مجهول يبدو متشبثاً بمحفظته الجلدية أكثر من كونه يحملها، قرر تنبيه المضيفة الجديدة إلى الحدث البارز جزئياً، فقال:

- يريدونك!

شغل القادمان الجديدان كرسيين قبالة منضدة الكونتوار، ورأيا شابة في حوالي السابعة عشرة من عمرها، ذات شعر كستنائي مجعد ومشعث بفعل الهواء، وعينين حزينتين وواثقتين، مستديرتين مثل حبتي خوخ، وعنق ينزلق نحو نهدين محشورين بخبث في ذلك القميص الأبيض الذي يقل نمرتين عن حاجتهما، وحلمتين صاخبتين بالرغم من كونهما مغطاتين، وخصر من تلك الخصور القادرة على مواصلة رقص التانغو إلى أن ينتهي الفجر وينفد النبيذ. مضى بعض الوقت، ما يكفي لكي تترك الفتاة منضدة الكونتوار وتأتي إلى الصالة، قبل أن تُظهر ذلك الجزء من جسدها الذي يحمل كل تلك المواصفات. وللعلم، فإن القطاع القاعدي، ابتداء من الخصر، ينفتح عن إليتين مدوختين، تتبلهما تنورة قصيرة هي دعوة للفت الانتباه إلى الساقين اللتين بعد الانزلاق فوق الركبتين النحاسيتين، تنتهيان برقصة بطيئة في قدمين حافيتين، خشنتين ومدورتين، واعتباراً منهما تطالب البشرة

بالعودة المتفحصة، صعوداً، لكل جزء من الجسد حتى الوصول إلى تينك العينين اللتين بلون القهوة، واللتين استطاعتا الانتقال من الكآبة إلى المكر مذ تطلعتا إلى منضدة الضيفين.

قالت بياتريث غونثالث وهي تسند إصبعها الخنصر إلى مشمع المنضدة:

ـ ماذا ستشرب يا ملك البيبي فوت؟

أبقى ماريو نظره مسلطاً على عينيها وحاول خلال نصف دقيقة أن يجعل دماغه يزوده بأدنى قدر من المعلومات ليتجاوز الصدمة التي تثقل عليه: من أكون، أين أنا، كيف يتم التنفس، كيف يمكن التكلم.

ومع أن الفتاة كررت «ماذا ستشرب» وهي تنقر بكامل طاقم أصابعها الرقيقة على المنضدة، إلا أن ماريو خيمينث لم يتوصل إلا إلى زيادة صقل صمته. عندئذ وجهت بياتريث نظرتها الآمرة نحو رفيقه، وأصدرت بصوت مرخم من ذلك اللسان الذي يلمع بين الأسنان الوافرة، سؤالاً كان يمكن لنيرودا أن يعتبره روتينياً في ظروف أخرى:

ـ ماذا ستشرب حضرتك؟

ـ مثل ما سيشربه هو.

بعد يومين من ذلك، جاءت شاحنة مندفعة تغطيها ملصقات تحمل صورة الشاعر وعبارة «نيرودا رئيساً»، لتخطف الشاعر من مخبئه. وقد لخص الشاعر نفسه انطباعه في مذكراته: «جاءت الحياة السياسية مثل الرعد لتُخرجني من أعمالي. لقد كانت الحشود البشرية هي الدرس الذي تلقيته في حياتي. يمكنني أن أصل إليها بالخجل الملازم للشاعر، بخوف الهيّاب، ولكنني حين أصير وسطها أشعر بالتحول، بأنني جزء من الأغلبية الأساسية، ورقة أخرى من الشجرة العظيمة التي تشكلها الإنسانية».

وقد جاءت يومذاك ورقة كئيبة من تلك الشجرة لوداعه: إنه ساعي البريد ماريو خيمينث. ولم يجد ماريو العزاء حتى عندما أهدى إليه الشاعر بشيء من الأبهة؛ بعد أن عانقه، طبعة دار النشر لوسادا من أعماله الكاملة في مجلدين مغلفين بجلد أحمر ومطبوعين على ورق ناعم كورق الكتاب المقدس. ولم يفارقه الغم كذلك عندما قرأ الإهداء الذي كان يمكن له أن يتجاوز أحلامه في وقت سابق: «إلى صديقي ورفيقي الحميم ماريو خيمينث، بابلو نيرودا.»

رأى ابتعاد الشاحنة على الدرب الترابي، وتمنى لو أن ذلك التراب المتصاعد من حولها كان قد غطاه نهائياً مثل جثة هامدة.

وإخلاصاً منه للشاعر، أقسم ألا ينتحر دون أن ينهي قبل ذلك قراءة الثلاثة آلاف صفحة كلمة كلمة. وقد أنهى الخمسين صفحة الأولى وهو واقف تحت برج الأجراس، بينما البحر الذي ألهم الشاعر الكثير من الصور الساطعة، يسلوه بلازمته الرتيبة المعتادة: «بياتريث غونثالث، بياتريث غونثالث».

طاف يومين متسكعاً حول الحانة ومعه المجلدات الثلاثة مربوطة على شبك الدراجة، ودفتر من ماركة توري اشتراه من سان أنطونيو، قرر أن يدون فيه الصور المتوقعة التي ستساعده شاعرية المعلم المتدفقة على تخيلها. وفي هذه الفترة رآه الصيادون منهمكاً بقلمه الرصاص وخائر القوى أمام أشداق المحيط، دون أن يعرفوا أن الشاب يملأ الصفحات بدوائر ومثلثات، يشكل خلوها من المعنى صورة شعاعية لمخيلته. وقد كانت تلك الساعات القليلة كافية لكي يشيع في القرية كلها أنه بعد غياب بابلو نيرودا عن إيسلا نيغرا، يسعى ساعي البريد ماريو خيمينث إلى وراثة مركزه. وبينما هو مشغول بغمه، لم ينتبه إلى الأقاويل والسخريات حتى مساء يوم كان يتأمل فيه الصفحات الأخيرة من ديوان «*شاذ*» وهو جالس على الصخرة، حيث يبيع الصيادون صيدهم البحري، ووصلت عندئذ شاحنة صغيرة مزودة بمكبرات صوت تعلن وسط أزيزها شعاراً يقول: «فلنضع حداً للماركسية مع مرشح تشيلي: خورخي أليساندري رودريغيث». نزل من السيارة الصاخبة رجلان يرتديان ملابس بيضاء، وتقدما من جماعة الصيادين بابتسامات واسعة، وهي نادرة في الجوار، حيث انعدام الأسنان لا يساعد على مثل ذلك الهدر. كان أحد

الرجلين هو البرلماني «لَبيه»، ممثل اليمين في المنطقة، وكان قد وعد في الحملة الانتخابية الأخيرة بإيصال الكهرباء إلى قرية الصيادين، وكان يدنو ببطء من تحقيق وعده مثلما كان يظهر من تدشين إشارة ضوئية غير دقيقة - مع أنها تضم الألوان النظامية الثلاثة - عند التقاطع الترابي الذي تمر منه شاحنة نقل السمك، ودراجة ماريو خيمينث، وحميرٌ وكلاب ودجاجات مذعورة.

- إننا نعمل هنا من أجل أليساندري - قال ذلك وهو يوزع منشورات دعائية على جماعة الصيادين.

أخذ الصيادون المنشورات بالتهذيب الذي تمنحه سنوات اليسار والأمية، ونظروا إلى صورة الرئيس السابق المسن الذي تتناسب ملامحه مع ممارساته ومواعظه الصارمة، ثم دسوا الأوراق في جيوب قمصانهم. ولكن ماريو وحده أعاد الورقة إلى موزعها قائلاً:

- أنا سأصوت لنيرودا.

وسّع النائب «لَبيه» ابتسامته المخصصة لماريو كي تشمل جماعة الصيادين كلها. ففتنوا جميعهم بلطف «لَبيه». ربما كان أليساندري نفسه يعرف ذلك، ولهذا أرسله للقيام بالحملة بين صيادين خبراء في صنانير الصيد، وفي تجنبها كيلا يجري اصطيادهم.

- نيرودا - قال «لَبيه» ذلك معطياً الانطباع بأن حروف اسم الشاعر تمر على كل سن من أسنانه، ثم تابع قائلاً: - نيرودا شاعر عظيم. وربما هو أعظم الشعراء، ولكنني بصراحة أيها السادة، لا أستطيع تصوره رئيساً لتشيلي.

ثم لاحق ماريو بالمنشور قائلاً له:

- اقرأه يا رجل. ربما ستقتنع.

حفظ ساعي البريد الورقة مطوية في جيبه، بينما انحنى البرلماني ليتفحص الأصداف البحرية في إحدى السلال.

- بكم تبيعون الدستة؟

- بمئة وخمسين لحضرتك!

- مئة وخمسون! بمثل هذا السعر عليكم أن تضمنوا لي العثور على لؤلؤة في كل قوقعة!

ضحك الصيادون وقد انتقلت إليهم عدوى تلقائية «لَبيه»؛ ذلك الظُّرف الذي يتمتع به بعض الأثرياء التشيليين الذين يخلقون جواً لطيفاً حيث يتوقفون. نهض النائب ومشى حتى صار على بعد خطوتين من ماريو، وكان يُحلّق الآن بابتسامته الملكية حتى الجنة، ثم قال بصوتٍ عالٍ إلى حد يكفي معه أن يسمعه الجميع:

- سمعت أنك صرت تنظم الشعر. يقولون إنك تريد منافسه بابلو نيرودا.

انفجرت قهقهات الصيادين بالسرعة نفسها التي احمر فيها وجهه خجلاً. أحس أنه مزنوق، مُفحَم، مخنوق، مرتبك، ضامر، بدائي، فظ، أحمر، قرمزي، أرجواني، قان، رطب، مكروب، لزج، منتهٍ. وقد وردت هذه المرة كلماتٌ إلى ذهنه، ولكنها كانت: «أريد أن أموت».

وعندئذ أمر البرلماني مرافقه بحركة أميرية أن يُخرج شيئاً من حقيبته الجلدية. وكان ما خرج يلمع تحت شمس

المرسى هو ألبوم مغلف بجلد أزرق مزين بحرفين من ماء الذهب، يكاد شكله يُضيّع الجلد الجيد الذي يغلف طبعة لوسادا لأعمال الشاعر.

ظهر حنان عميق حتى على عيني «لَبيه» عندما قدم له الألبوم قائلاً:

- خذ يا فتى. لتكتب عليه أشعارك.

وببطء ولذه راح الخجل يتلاشى عن بشرة ماريو وكأن موجة باردة قد جاءت لإنقاذه، والنسيم جففه، وإذا لم تكن الحياة جميلة فهي محتملة على الأقل. أطلق نفَسه الأول بعمق، ثم ابتسم ابتسامة بروليتارية، ولكنها ليست أقل لطفاً من ابتسامة «لَبيه»، وقال بينما يداه تداعبان سطح الجلد الأزرق اللامع:

- شكراً يا سيد «لَبيه».

كانت أوراق الألبوم صقيلة جداً، وناصعة في بياضها إلى حد وجد معه ماريو خيمينث ذريعة لعدم كتابة أشعاره عليها. وعندما كان قد لوث بالحبر دفتر توريّ الذي اشتراه للتجارب، بادر إلى تطهير يديه بصابون فلوريس دي برافيا، وإلى تنقيح مجازاته لإعادة نسخ أفضلها فقط، بقلم حبر جاف أخضر مثل تلك الأقلام التي يستخدمها الشاعر. وكان قحط مخيلته قد ازداد في الأسابيع التالية بتناسب معاكس لاتساع سمعته كشاعر. فقد شاعت مغازلته لربات الشعر إلى حدّ وصول الخبر إلى موظف التلغراف الذي أجبره على قراءة بعض أشعاره في مهرجان سياسي - تقافي للحزب الاشتراكي في سان أنطونيو. فتنازل ساعي البريد وألقى قصيدة نيرودا *أغنية إلى الريح*، وهو حدث جاءه بقليل من التصفيق وبدعوة إلى اجتماعات أخرى لإلهاء أعضاء الحزب وأنصاره بقصيدة «*أغنية إلى حساء السلور*» وقد رأى موظف التلغراف أن القصيدة مناسبة، فاقترح إقامة مهرجان آخر مماثل لصيادي المرسى.

لم يخفف ظهوره المتكرر أمام الجمهور، ولا الكسل الذي أحدثه واقع أنه صار بلا زبون يوزع له الرسائل، من تلهفه إلى التقرب من بياتريث غونثالث التي كانت تستكمل يوماً بعد آخر جمالها، جاهلة التأثير الذي تحدثه هذه التطورات في نفس ساعي البريد.

وعندما كان هذا قد حفظ عن ظهر قلب مجموعة كبيرة من أشعار الشاعر وتأهب لاستخدامها في إغواء فتاته، اصطدم بمؤسسة مرهوبة في تشيلي: الحموات. ففي صباح أحد الأيام، بينما كان يداري بصبر انتظاره تحت عمود النور الذي عند الناصية، رأى بياتريث تفتح باب بيتها، فقفز نحوها مرتلاً اسمها، وفي اللحظة نفسها ظهرت أمها في المشهد، ونظرت إليه كما تنظر إلى حشرة، وقالت له «صباح الخير» بنبرة تعني دون شك «اختف من أمامي».

وفي اليوم التالي، اختار إستراتيجية دبلوماسية، فذهب إلى البار في وقت لم تكن فيه معبودته موجودة هناك، ووضع حقيبته فوق منضدة الكونتوار وطلب من الأم زجاجة نبيذ من صنف فاخر، ودسها بين الرسائل والمطبوعات.

وبعد أن تنحنح، جال ببصره على الحانة وكأنه يراها أول مرة، وقال:

- المكان جميل.

فردت عليه أم بياتريث بتهذيب:

- أنا لم أسألك رأيك.

حدق ماريو بحقيبته الجلدية وبه رغبة في أن يغطس فيها مرافقاً زجاجة النبيذ. ثم تنحنح مرة أخرى:

- لقد تراكمت مراسلات كثيرة لنيرودا. وأنا أحضرها شيئاً فشيئاً كيلا تضيع.

قاطعت المرأة ذراعيها وشمخت بأنفها الفظ قائلة:

- حسن، ولماذا تخبرني بكل هذا؟ هل أنت راغب في فتح

ومتشجعاً بهذا الحوار الأخوي، في غسق ذلك اليوم نفسه، حين كانت الشمس البرتقالية تقدم مباهجها إلى العشاق والشعراء المتدربين، ودون أن ينتبه إلى أم الفتاة التي كانت تراقبه من شرفة بيتها، لحق بخطوات بياتريث على الشاطئ، وعند الصخور كلمها وقلبه عند فكيه. حدثها باندفاع في أول الأمر، ولكنه بعد ذلك، حين صار مثل دمية ينطق نيرودا بصوتها، تمكن من التكلم بانسيابية أتاحت للصور أن تلتحم برقة كبيرة جعلت الحديث، أو الإلقاء الشعري بعبارة أدق، يتواصل إلى أن خيم الظلام بالكامل.

حين رجعت بياتريث من المغازلة مباشرة إلى الحانة، وحملت وهي مُنَوّمة عن إحدى المناضد زجاجة لا تزال ممتلئة حتى نصفها كان صيادان يشربان منها وهما يدندنان أغنية الشراع لروبيرتو ليكاروس، أثارت فيهما الدهشة، وخاصة حين ذهبت بذلك الشراب متجهة إلى بيتها. فقالت الأم عندئذ إنه حان موعد الإغلاق، وسامحت زبونيها بثمن شرابهما المحبط، ورافقتهما حتى الباب ثم أدارت المفتاح في القفل.

وجدتها في الغرفة معرضة للريح الخريفية، تتابع بنظرها انزلاق القمر المكتمل، تحيط بها العتمة المبهمة فوق الفراش، وأنفاسها مضطربة.

سألتها:

ـ ماذا تفعلين؟

ـ إنني أفكر.

وبضربة من يدها ضغطت مفتاح النور، فباغت الضوء وجه الفتاة المتهرب.

ـ إذا كنت تفكرين فإنني أريد أن أرى كيف يصبح وجهك عند التفكير. ـ غطت بياتريث عينيها بكفيها. وتابعت الأم قائلة: ـ وتتركين النافذة مفتوحة ونحن في عز الخريف!

ـ إنها غرفتي يا أماه.

ـ ولكنني أنا التي تدفع حسابات الطبيب. فلنتحدث بصراحة يا ابنتي. من يكون؟

ـ اسمه ماريو.

ـ وماذا يعمل؟

ـ ساعي بريد.

ـ ساعي بريد؟

ـ أولم تري حقيبته؟

ـ طبعاً رأيت الحقيبة. ورأيت أيضاً لأي شيء يستخدم الحقيبة. ليدس فيها زجاجة نبيذ.

ـ لأنه كان قد انتهى من التوزيع.

ـ ولمن يوصل الرسائل؟

ـ إلى دون بابلو.

ـ نيرودا؟

ـ أجل، إنهما صديقان.

ـ أهو من قال لك ذلك؟

ـ أنا رأيتهما معاً. قبل أيام كانا يتحدثان معاً في الحانة.

ـ وبماذا كانا يتحدثان؟

ـ في السياسة.

ـ آه، إنه شيوعي أيضاً!

ـ ماما، نيرودا سيصبح رئيس تشيلي.

ـ بنيتي، إذا كنت تخلطين الشعر بالسياسة، فستصبحين عما قريب أماً عزباء. ماذا قال لك؟

كانت الكلمة على طرف لسان بياتريث، ولكنها تبلّتها لبضع ثوان بلعابها الدافئ قبل أن تقول:

ـ استعارات.

تشبثت الأم بحافة السرير البرونزي العتيق، وضغطت عليها إلى أن اقتنعت بأنها قادرة على صهرها.

ـ ماذا أصابك يا أماه؟ بماذا تفكرين؟

تقدمت المرأة إلى جانب الصبية، وتركت نفسها تهوي على السرير، ثم قالت بصوت خائر:

ـ لم أسمع منك قط من قبل كلمة طويلة كهذه. أي «استعارات» قالها لك؟

ـ قال لي... قال لي إن ابتسامتي تمتد مثل فراشة على وجهي.

ـ وماذا أيضاً؟ .

ـ حسن، عندما قال ذلك ضحكت.

ـ وعندئذ؟

ـ عندئذ قال شيئاً عن ضحكتي. قال إن ضحكتي وردة، حربة تتشظى، ماء يتفجر. قال إن ضحكتي موجة فضة مباغتة.

بللت المرأة شفتيها بلسانها المرتعش:

ـ وماذا فعلتِ عندئذ؟

ـ ظللتُ صامتة.

ـ وهو؟

ـ ماذا قال لي بعد ذلك؟

ـ لا يا بنيتي. ماذا فعل لك بعد ذلك! لأن ساعيك البريدي يملك يدين أيضاً فضلاً عن لسانه.

ـ لم يلمسني في أي لحظة. قال إنه سعيد باستلقائه إلى جوار شابة طاهرة، كأنه بجانب محيط أبيض.

ـ وأنتِ؟

ـ أنا ظللت صامتة أفكر.

ـ وهو؟

ـ قال لي إنني أروق له حين أصمت لأني أبدو كالغائبة.

ـ وأنتِ؟

ـ أنا نظرت إليه.

ـ وهو؟

ـ وهو نظر إليّ أيضاً. وبعد توقف عن النظر إلى عيني راح ينظر طويلاً إلى شعري، دون أن يقول شيئاً، كما لو أنه يفكر. وعندئذ قال لي: «يلزمني وقت طويل لأحتفل بشعرك، يجب أن أعدّه وأتغزل به شعرة شعرة».

نهضت الأم واقفة، وقاطعت راحتي يديها أمام صدرها بوضع أفقي مثل شفرتي مقصلة:

ـ لا تخبريني بالمزيد يا بنيتي. إننا أمام حالة خطرة جداً. كل الرجال الذين يلمسون بالكلمة أولاً، يصلون في ما بعد إلى اللمس بعيداً بأيديهم.

فقالت بياتريث وهي تحتضن الوسادة:

ـ وماذا في الكلمات من سوء؟

ـ ليس هناك مخدر أسوأ من الكلام. إنه يجعل نادلة حانة ريفية تشعر كأنها أميرة فينيسية. وبعد ذلك حين تأتي ساعة الحقيقة، لحظة العودة إلى الواقع، تكتشفين أن الكلمات لم تكن إلا شيكاً بلا رصيد. إنني أُفضل ألف مرة أن يلمس سكير مؤخرتك في الحانة، على أن يقال لك إن ابتسامتك تطير عالياً مثل فراشة!

فقفزت بياتريث:

ـ تمتد مثل فراشة!

ـ تطير أو تمتد، إنه الشيء نفسه! أتعرفين السبب؟ لأنه لا يوجد وراء الكلمات أي شيء. إنها مجرد ألعاب نارية تتلاشى في الهواء.

ـ الكلمات التي قالها لي ماريو لم تتلاش في الهواء.

إنني أحفظها عن ظهر قلب وأحب أن أفكر فيها وأنا أعمل.

ـ لقد لاحظتُ ذلك. غداً ستُعدين حقيبتك وتذهبين بضعة أيام إلى بيت خالتك في سنتياغو.

ـ لا أريد.

ـ لا يهمني رأيك. لقد صار الوضع خطيراً.

ـ وما الخطورة في أن يتحدث إليّ شاب! هذا يحدث مع كل الفتيات!

عقدت الأم طرف شالها.

ـ أولاً، يبدو واضحاً عن بُعد فرسخ أن الأشياء التي يقولها لك قد نقلها بالكامل عن نيرودا.

أمالت بياتريث عنقها ونظرت إلى الجدار كما لو أنها تنظر إلى الأفق.

ـ لا يا أماه! إنه ينظر إلى وجهي فتخرج الكلمات من فمه كأنها العصافير.

ـ «تخرج من فمه مثل العصافير». هذه الليلة بالذات ستعدّين حقيبتك وتسافرين إلى سنتياغو! أتعرفين ماذا يسمون أخذ أحدهم أشياء شخص آخر دون تصريح بذلك؟ يسمونه انتحالاً! يمكن لماريو هذا أن يذهب إلى السجن لما يقوله لك من... استعارات! أنا نفسي سأتصل بالشاعر هاتفياً، وأقول له إن ساعي البريد يسرق أشعاره.

ـ كيف يخطر لك شيء كهذا، أوتظنين أن دون بابلو سيلتفت إلى ذلك! إنه مرشح لرئاسة الجمهورية، وربما

سيمنحونه جائزة نوبل، وأنت تريدين الذهاب إليه للدس من أجل زوج من الاستعارات.

مرت المرأة بإصبعها على أنفها مثلما يفعل الملاكمون المحترفون.

- «زوج من الاستعارات». ألا ترين كيف أصبحت حالتك؟

أمسكت الفتاة من أذنها وشدتها إلى أعلى، إلى أن صار أنفاهما متلاصقين تقريباً.

- أماه!

- إنك رطبة مثل نبتة. لديك سخونة يا بنيتي لا يمكن شفاؤها إلا بدواءين اثنين. المضاجعات أو السفر ــ. أفلتت شحمة أذن الفتاة، وسحبت الحقيبة من تحت السرير وألقت بها فوق الفراش قائلة: - هيا أعدي حقيبتك!

- لست أفكر في الذهاب! سأبقى!

- بنيتي، الأنهار تجرف صخوراً، والكلمات تؤدي إلى الحَبل. أعدي حقيبتك!

- أعرف كيف أحمي نفسي.

- وما الذي تعرفينه أنت عن الحماية! بهذه الحالة التي أراك فيها ستنتهين بحكة من ظُفر. وتذكري أنني كنت أقرأ نيرودا قبلك بكثير. وكيف لم أعرف أنا أن الرجال عندما يتهيجون تصبح حتى أكبادهم شاعرية.

- نيرودا رجل جديّ. سيصبح رئيساً للبلاد!

- عندما يتعلق الأمر بالذهاب إلى الفراش لا يعود هناك أي

فرق بين رئيس وكاهن أو شاعر وشيوعي. أتعرفين من الذي كتب «أحبُ حبَّ البحارة الذين يأتون ويذهبون. يتركون وعداً، ولا يرجعون أبداً»؟

- نيرودا!

- طبعاً نيرودا! وتبقين ساكنة باردة؟

- أنا لا أثير كل هذه الضجة من أجل قبلة!

- ليس من أجل القبلة، ولكن القبلة هي الشرارة التي تشعل الحريق. وإليك بيت آخر من أشعار نيرودا: «أحبُ الحب المُتقَاسم في قبلات وحليب وخبز». وهذا يعني يا ابنتي، إذا تحدثنا بوضوح، أن تلك الأشياء تحدث حتى مع الفطور في السرير.

- أماه!

- وبعد ذلك سيلقي عليك ساعي بريدك القصيدة النيرودية الخالدة التي كتبتها في دفتري عندما كنت في مثل سنك يا آنسة: «لا أريده يا حبيبتي، كيلا يربطنا شيء، كيلا يجمع بيننا شيء.»

- لم أفهم معنى هذا.

فراحت الأم تشكل بيديها بالوناً وهمياً آخذاً بالانتفاخ فوق سرتها، يصل محيطه إلى مستوى بطنها، وينتهي عند منبت الفخذين. كانت ترفق هذه الحركة الانسيابية بالتشديد على كل حرف من حروف المقطع الشعري: «لا - أريده - يا - حبيبتي - كيلا - يربط - نا - أي - شيء - كيلا - يجمع - بيننا - شيء».

تابعت الفتاة بحيرة ذلك الانتفاخ المتعاظم الذي تشكله أصابع أمها، واستلهمت عندئذ علامة الترمل التي تحيط ببنصر يد الأم، فسألتها بصوت عصفور:

- أهو الخاتم؟

كانت المرأة قد أقسمت ألا تبكي أبداً في حياتها بعد موت زوجها الشرعي ووالد بياتريث، إلى أن يكون هناك ميت عزيز مثله في الأسرة. ولكنّ دمعة أصرت يومئذ على أن تطفر من عينيها.

- أجل يا ابنتي. إنه الخاتم. أعدي حقيبتك الآن فوراً بصمت وحسب.

عضت الفتاة الوسادة، ثم صرخت بعد ذلك مظهرة أنه يمكن لأسنانها، فضلاً عن الإغواء، أن تمزقا القماش واللحم على السواء:

- هذا مضحك! هل عليّ أن أذهب إلى سنتياغو لأن رجلاً قال لي إن ابتسامتي تخفق في وجهي مثل فراشة!

وانفجرت الأم أيضاً:

- لا تكوني غبية! الآن ابتسامتك فراشة، ولكن نهديك سيكونان غداً حمامتين تريدان من يهدل لهما، وستكون حلمتاك حبتي توت بري مترعتين بالرحيق، وسيكون لسانك سجادة الآلهة الدافئة، وستكون مؤخرتك شراع سفينة، والشيء الذي ينفث رطوبة بين ساقيك الآن سيكون فرن الكهرمان الذي يصاغ فيه معدن السلالة المنتصب! طابت ليلتك!

أمضى ماريو أسبوعاً وهو يغص بالاستعارات الحبيسة في حلقه. فبياتريث، إما أن تكون سجينة في غرفتها، وإما أن تخرج لإحضار المشتريات أو للتنزه حتى صخور الشاطئ وبراثن أمها تشد على ذراعها. كان يلحق بهما عن بُعد متخفياً بين الكثبان، وموقناً بأن مجرد وجوده أشبه بصخرة على عنق السيدة. وكلما كانت الفتاة تلتفت إليه، كانت المرأة تدير لها وجهها إلى الأمام بشد أذنها، ومع أن الهدف من شَدَّة الأذن حمايتها إلا أن ذلك لم يكن يجعلها أقل إيلاماً.

وفي الأمسيات كان ماريو يستمع إلى أغنية الشراع وهو خارج الحانة، آملاً أن يأتي بها ظلٌّ وهي بتلك التنورة القصيرة التي يحلم برفعها إلى أعلى بلسانه. وبتصوف شبابي، قرر ألا يهدئ بأية فنون يدوية الانتصاب الوفي والمتزايد الذي يخفيه تحت مجلدات الشاعر في النهار، ويكبحه حتى التعذيب في الليل. كان يتصور، برومانسية مبررة، أن كل استعارة مصكوكة، كل زفرة، كل سلفة من لسانها في صوان أذنه، أو بين ساقيه، هي قوة كونية تُغذي مَنيّه. وأنه بهكتولترات من هذه المادة الجوهرية المُحسّنة سيجعل سعادة بياتريث غونثالث تحلق عالياً يوم يقرر الرب أن يُثبت أنه موجود بوضعها بين ذراعيه، سواء أكان ذلك عن طريق سكتة قلبية تصيب الأم أو اختطاف جامح.

وفي يوم الأحد من ذلك الأسبوع بالذات، جاءت الشاحنة

الحمراء نفسها التي كانت قد أخذت نيرودا قبل شهرين، لتعيده من جديد إلى ملجئه في إيسلا نيغرا. إلا أن الشاحنة جاءت هذه المرة وهي مغطاة بصور رجل له وجه أب صارم، إنما بصدر ذَكر حمام في رقته ونبله. وتحت كل صورة كان يظهر اسمه: سلفادور أللييندي.

بدأ الصيادون يركضون وراء الشاحنة، وجرب ماريو معهم مواهبه الرياضية القليلة. وعند بوابة البيت وقف نيرودا بعباءة البونتشو المطوية على كتفه، وبمرحه التقليدي، وارتجل خطاباً قصيراً بدا لماريو أبدياً. قال الشاعر وهو يستنشق شذى ذلك البحر الذي هو بيته أيضاً:

ـ لقد تأجج ترشيحي ناراً. لم يبق مكان إلا وطالب بحضوري إليه. لقد بلغتُ أقصى حدود التأثر وسط تلك المئات من رجال الشعب ونسائه الذين كانوا يعانقونني، يقبلونني، ويبكون. كنت أحدثهم جميعاً أو ألقي عليهم قصائدي. تحت وابل المطر أحياناً، ووسط وحول الشوارعِ والدروب. تحت الريح الجنوبية التي تجعل الناس يرتجفون برداً. لقد كنت أتحمس، ففي كل مرة كان يأتي مزيد من الناس إلى مهرجاناتي الانتخابية، وفي كل مرة تجيء نساء أكثر.

ضحك الصيادون.

ـ وبدأتُ أفكر بافتتان ورعب في ما سأعمله إن أنا فزت برئاسة الجمهورية. وعندئذ جاء الخبر الطيب. ـ مدّ الشاعر ذراعه مشيراً إلى الملصقات المعلقة على الشاحنة ـ لقد برز أللييندي مرشحاً وحيداً لكل قوى «الوحدة الشعبية». وفور موافقة حزبي، قدمتُ على جناح السرعة سحب ترشيحي.

وأمام حشد هائل سعيد تكلمتُ لأعلن انسحابي ثم تكلم ألليندي ليعلن ترشيح نفسه.

صفق مستمعوه بقوة تفوق قوة العدد المحتشد هناك، وعندما نزل نيرودا عن درجة باب السيارة، متلهفاً للقاء بمنضدته، بقواقعه، بأشعاره، وبتماثيل مقدمات السفن التي كان يجمعها، اعترضه ماريو بكلمتين رنّتا مثل ابتهال:

- دون بابلو...

فقال له الشاعر:

- غداً، غداً.

في تلك الليلة سلى ساعي البريد أرقه بعدٍّ النجوم، وقضم أظفاره، وارتشاف نبيذ أحمر حرّيف وحك خديه.

وعندما رأى موظف التلغراف في اليوم التالي مشهد بقاياه الفانية، قبل أن يسلمه بريد الشاعر، أشفق عليه، وأسرَّ له بعبارة التسكين الوحيدة التي استطاع تدبرها:

- بياتريث الآن آية في الجمال. ولكنها بعد خمسين سنة ستكون عجوزاً هرمة. أُسلُ نفسك بهذه الفكرة.

ثم سلمه في الحال حزمة الرسائل، وحين حلّ رباط المطاط الذي يثبتها، لفتت إحدى الرسائل انتباه الشاب، مما جعله يترك بقية الرسائل مرة أخرى فوق المنضدة.

وجد الشاعر متآلفاً مع أجواء فطوره الفاخر على الشرفة، بينما النوارس تتطاير ذاهلة من انعكاس الشمس الحازمة على البحر.

قال بصوت ملهوف:

- دون بابلو، إنني أحمل لك رسالة.

تذوق الشاعر رشفة من قهوته النفاذة، ثم رفع كتفيه:

- بما أنك ساعي البريد، فليس في ذلك ما يدعوني إلى الاستغراب.

- إنني أطلب منك كصديق، وجار، ورفيق أن تفتحها وتقرأها لي.

- تريدني أن أقرأ لك رسالة مرسلة إليّ؟

- أجل، لأنها من أم بياتريث.

قدمها إليه فوق المنضدة كما لو أنها خنجر.

- أم بياتريث تكتب لي أنا؟ هنالك هرٌّ محبوس في هذه المسألة. وبالمناسبة، لقد تذكرت قصيدتي *أغنية إلى هرّ*. مازلتُ أفكر في أن هناك ثلاث صور يمكن إنقاذها: الهرّ كنمر صالون مصغر، وباعتباره الشرطي السريّ للغرف، وكسلطان لسقوف القرميد الشهوانية.

- إنني غير مهيأ للاستعارات اليوم أيها الشاعر. أرجوك، الرسالة.

حين شق الشاعر المغلف بتثاقل متعمد جعل العملية تستمر لدقيقة، فكر: «الناس محقون حين يقولون إن الانتقام هو متعة الآلهة» بينما راح يتأمل الطابع الملصق على المغلف، مقدراً كل تجعيدة في لحية الشخصية المرموقة التي تزينه، ومتظاهراً بأنه يتفحص الخاتم المطموس لمكتب بريد سان

أنطونيو، مفتتاً نتفة صغيرة من لباب خبز متيبس كانت قد أفلتت من المرسل. ما كان لأي من معلمي السينما البوليسية أن يملك القدرة على إيصال ساعي البريد إلى مثل تلك الحيرة. ولأنه كان قد تيتم من أظفاره، فقد راح يقضم أطراف أصابعه واحداً واحداً.

بدأ الشاعر قراءة الرسالة بالنبرة نفسها التي يضفي بها الدرامية على أشعاره:

- «دون بابلو المحترم. من تكتب إليك هي روسا، أرملة غونثالث، الملتزمة الجديدة بحانة المرسى، والمعجبة بأشعارك، والمؤيدة للحزب الديمقراطي المسيحي. ومع أنني ما كنت سأصوت لك، ولن أصوت الآن لألليندي في الانتخابات القادمة، إلا إنني أطلب منك كأم، وكمواطنة تشيلية، وكجارة لك في إيسلا نيغرا، أن تحدد لي موعداً مستعجلاً لأتحدث مع حضرتك...»

ومنذ تلك اللحظة بدأ الشاعر، بفعل الذهول أكثر مما هو بدافع المكر، قراءة السطور الأخيرة من الرسالة بصمت. ملامح الرصانة المفاجئة التي بدت على وجهه جعلت بشرة خنصر ساعي البريد تنزف. طوى نيرودا الرسالة، وطعن الفتى بنظراته، ثم أنهى بقية الرسالة من ذاكرته:

- «... عن المدعو ماريو خيمينث، مُغوي القاصرات. وأخيراً، تقبل تحيات روسا، أرملة غونثالث.»

نهض واقفاً بخوف يقيني:

- رفيقي ماريو.خيمينث، «لن أدخل هذا الكهف» قال الأرنب.

لحق بـه مـاريو إلى الـصالة المترعـة بـالقواقع والكتـب وتماثيل مقدمات السفن.

ـ لا يمكنك أن تتخلى عني يا دون بابلو. تحدث مع السيدة واطلب منها أن تتخلى عن جنونها.

ـ يا بني، أنـا لـست إلا شـاعراً وحـسب. لـست ممـن يتقنـون فن انتزاع أحشاء الحموات الرائع.

ـ يجب عليك أن تساعدني لأنـك أنـت نفسك كتبت: «لا أحب البيت دون سقف، ولا النافذة دون زجاج. لا أحب النهار دون عمل والليل دون حلم. لا أحب الرجل دون امرأة ولا المرأة دون رجل. أريد للحيوات أن تندمج مشعلة القبلات التي ظلت منطفئة حتـى الآن. إنـني شـاعر الـزواج الطيـب». لا أظـن أنـك ستقول لي الآن إن هذه القصيدة هي مجرد شيك بلا رصيد!

صـعدت موجتـان، إحـداهما مـن شـحوب والأخـرى مـن ذهول، من كبد الشاعر إلى عينيه. فبلل شفتيه اللتين جفتا فجأة، وانفلت قائلاً:

ـ بمقتضى منطقك هذا يجب زج شكسبير في السجن بـسبب اغتيـال أبـي هاملـت. فلـو أن شكسبير المسكين لم يكتب مسرحيته التراجيدية، لما جرى أي شـيء لـلأب بكل تأكيد.

ـ أرجوك أيها الشاعر، لا تشوشني أكثر مما أنا مشوش. ما أريده هو أمر بسيط جداً. تحدث إلى السيدة واطلب منها أن تسمح لي بمقابلة بياتريث.

ـ وبهذا ستكون سعيداً؟

ـ سأكون سعيداً.

ـ وستتركني بسلام إذا هي سمحت لك بمقابلة الفتاة؟

ـ سأتركك بسلام حتى الغد على الأقل.

ـ شيء أفضل من لا شيء. هلم بنا لنتصل بها هاتفياً.

ـ الآن بالذات؟

ـ فوراً.

وبينما الشاعر يرفع السماعة كان يستمتع برؤية عيني الفتى المبهور.

ـ إنني أسمع من هنا قلبك ينبح مثل كلب. ثبته بيدك يا رجل.

ـ لا أستطيع.

ـ حسن، أعطني رقم هاتف الحانة.

ـ «واحد.»

ـ لا بد أن حفظ هذا الرقم قد كلفك عالماً.

وبعد طلب الرقم، مرّ ساعي البريد دون ريب بفترة صمت عصيبة أخرى قبل أن يتكلم الشاعر:

ـ دونيا روسا أرملة غونثالث؟

ـ هي نفسها رهن أوامرك.

ـ من يتحدث إليك هو بابلو نيرودا.

لقد فعل الشاعر شيئاً لا يروقه عموماً: فقد لفظ اسمه محاكياً نبرة مذيع تلفزيوني يقدم نجمة عرض أزياء. أضف

إلى ذلك أن الرسالة وكذلك المناوشات الأولى مع صوت هذه المرأة جعلته يدرك بالبداهة أنه لا بد من ألا يتورع عن الإقدام حتى على الوقاحة إذا كان ذلك سيؤدي إلى إنقاذ ساعي بريده من غيبوبته. ومع ذلك، فإن تأثير ذكر اسمه المجيد، لم يستحق من الأرملة أكثر من صوت مقتضب:

- أيوه.

- أريد أن أشكركِ على رسالتك اللطيفة.

- ليس هناك ما يستدعي الشكر أيها السيد. أود التحدث مع حضرتك فوراً.

- قولي ما تشائين يا دونيا روسا.

- يجب أن نتحدث مباشرة!

- أين؟

- أينما تشاء.

منح نيرودا نفسه هدنة كي يفكر، ثم قال باحتراس:

- في بيتي إذاً.

- إنني آتية إليك.

وقبل أن يغلق الشاعر السماعة، هزها بقوة كأنه يريد أن يُطيّر منها بقية من صوت المرأة مازالت عالقة بداخلها.

قال ماريو متوسلاً:

- ماذا قالت؟

- «إنني آتية.»

ضرب نيرودا كفيه، ثم أغلق بصبر الدفتر الذي كان ينوي أن يملأه باستعاراته الخضراء في يومه الأول في إيسلا نيغرا، وكان لديه من الكرم ما يكفي ليبث في نفس الفتى الشجاعة التي هو نفسه يحتاج إليها.

- على الأقل سنلعب هنا على أرضنا يا فتى.

ذهب نحو الفونوغراف، ورفع إصبعه فجأة بسعادة وأعلن:

- لقد أحضرت لك معي من سنتياغو هدية خاصة. «النشيد الرسمي لموزعي البريد».

وما إن قال هذه الكلمات حتى دوت موسيقى «مستر بوستمان» لفريق البيتلز، فانتشرت في الصالة مزعزعة تماثيل قياديم السفن، وقالبة السفن الشراعية داخل القوارير، ومصدرة صريراً من أسنان التماثيل الأفريقية، ومحللة تحجر البلاط، ومخدّدة الأخشاب، ومثيرة التمرد في زخارف الكراسي المشغولة بمهارة، وباعثة إلى الحياة الأصدقاء الموتى المدونة أسماءهم على الدعائم تحت السقف، ومطلقة الدخان من الغلايين المطفأة منذ زمن بعيد، ومداعبة تماثيل خزف كينتشامالي ذات الكروش، ونافثة عطوراً على بغايا الحقبة الجميلة اللواتي يورقّن الجدران، ومرخية العنان لعدو الجواد الأزرق، ومطلقة صفير القاطرة الطويلة والقديمة المُنتزعة من قصيدة لويتمان.

وعندما وضع الشاعر مغلف الأسطوانة بين ذراعيه، كأنه يسلمه رعاية طفل حديث الولادة، بدأ يرقص محركاً ذراعيه البجعيتين البطيئتين مثل أبطال حفلات رقص الأحياء المتشعثين، ضابطاً الإيقاع بساقيه اللتين ارتادتا دفء أفخاذ

عشيقات أجنبيات أو قرويات ووطأتا كل الدروب الممكنة في الأرض وتلك التي ابتدعها بنفسه. عرف ماريو أنه يعيش حلماً: إنها مقدمات مجيء ملاك، الوعد بمجد قريب، طقوس الإعلان التي تحمل إلى ذراعيه وإلى شفتيه المالحتين والظامئتين لعاب حبيبته البهيج. كائن وديع بحلّة ملتهبة ـ في عذوبة الشاعر ورصانته ـ أكد له خطوبة وشيكة. فتوشّى وجهه بهذه السعادة الطازجة، وعادت الابتسامة الشامخة إلى الظهور ببساطة رغيف خبز على المائدة اليومية، فقال: «إذا ما متُّ يوماً، أريد أن تكون السماء مثلما هي في هذه اللحظة».

ولكن القطارات التي تقود إلى الجنة ليست محلية على الدوام، وهي تعلق في محطات رطبة وخانقة. والقطارات الوحيدة السريعة هي تلك التي تسافر إلى الجحيم. هذا الاحتدام نفسه أغاظ أوردته حين رأى من وراء النوافذ اقتراب دونيا روسا أرملة غونثالث محركة جسدها وقدميها الحداديتين بتصميم مدفع رشاش. وقد كان الشاعر على صواب حين قدر أنه يجب إخفاء ساعي البريد وراء إحدى الستائر، ثم دار بعد ذلك على عقبيه، ونزع قبعته برشاقة عارضاً بذراعيه على السيدة أكثر مقاعده فخامة. ولكن السيدة رفضت الدعوة وباعدت ما بين ساقيها. وكشفت عن الضيق الذي يثقل على حجابها الحاجز بوضعها جانباً أي نوع من اللف والدوران:

ـ ما سأقوله لك خطير جداً بحيث لا يمكن لي أن أقول وأنا جالسة.

ـ وما هو هذا الأمر يا سيدتي؟

ـ منذ بضعة شهور يحوم حول حانتي شخص يدعى ماريو خيمينث. وقد تمادى هذا السيد مع ابنتي التي تكاد لا تبلغ السادسة عشرة من عمرها.

ـ ماذا قال لها؟

بصقت السيدة من بين أسنانها:

ـ استعارات.

ابتلع الشاعر لعابه:

ـ و؟

ـ جعل ابنتي بتلك الاستعارات يا دون بابلو أشد سخونة من حمّام حار!

ـ إننا في الصيف يا دونيا روسا.

ـ مسكينتي بياتريث تذوي بالكامل بسبب موزع البريد هذا. إنه رجل رأسماله الوحيد هو الفطور التي بين أصابع قدميه الكثيرتي الحركة. ولكن إذا كانت قدماه تعجان بالميكروبات، فإن لفمه طزاجة خَسة، وهو فم ماكر مثل طحالب الماء. والأخطر من كل ذلك يا دون بابلو هو أن المجازات التي يغوي بها ابنتي ينقلها بكل وقاحة من كتبك..

ـ لا!

ـ بلى! بدأ الحديث معها ببراءة عن ابتسامة مثل الفراشة. ولكنه قال لها إن نهديها مثل نار بلهبين!

فاستفهم الشاعر:

ـ وهل تظنين حضرتك أن الصورة المستخدمة كانت

بصرية أم لمسية؟

وردت الأرملة:

ـ بل لمسية. لقد منعتُها الآن من الخروج إلى أن ينقشع السيد خيمينث. حضرتك ستجد أن عزلها بهذه الطريقة ينطوي على قسوة، ولكن انظر هذه القصيدة التي اختطفتها منها وكانت تخفيها في حمّالة صدرها.

ـ تخفيها في حمّالة صدرها؟

أخرجت المرأة من حضنها ورقةً يبدو دون ريب أنها من دفتر رياضيات ماركة توريّ، وشهرتها مثل دليل قضائي، مشددة على كلمة عارية بنباهة تحريّة:

«عارية أنت ببساطة مثل إحدى يديك،

ناعمة، أرضية، صغيرة، مكورة، شفافة،

فيك دروب قمر، طُرق تفاح،

عارية أنت، نحيلة مثل القمح العاري.

عارية أنت، زرقاء مثل الليل في كوبا،

وفي شعرك لبلاب ونجوم.

مثل الصيف في كنيسة ذهبية.»

جعدت النص باستنكار، ودفنته ثانية في مئزرها وقالت:

ـ هذا يعني يا سيد نيرودا أن ساعي البريد قد رأى ابنتي عارية!

أحس الشاعر بالندم لتبنيه النظرية المادية لتفسير

الكون، فقد أراد أن يطلب في تلك اللحظة رحمة مستعجلة من الرب. وبينما هو منكمش على نفسه، غامر بتقديم تفسير دون إظهار مهابة أولئك المحامين، من أمثال تشارلز لاوتون الذين يستطيعون أن يقنعوا حتى الميت بأنه ليس جثة.

ـ أنا أقول يا سيدة روسا إن القصيدة لا تتضمن الواقعة العملية بالضرورة.

فنظرت الأرملة إلى الشاعر بازدراء غير متناه، وقالت:

ـ ست عشرة سنة وأنا أعرفها، إضافة إلى تسعة شهور حملتها في بطني. القصيدة لا تكذب يا دون بابلو: فابنتي وهي عارية تكون هكذا تماماً، مثلما تقول القصيدة.

«رباه» تضرع الشاعر دون أن تخرج الكلمات من فمه.

وقالت المرأة:

ـ إنني أستحلفك بكل ما تستلهمه وتثق فيه، أن تأمر هذا المدعو ماريو خيمينث، ساعي البريد ومنتحل الأشعار، أن يمتنع منذ اليوم ومدى الحياة عن رؤية ابنتي. وقل له إنه إذا لم يفعل ذلك، فأنا نفسي، شخصياً، سأتولى انتزاع عينيه مثل ساعي البريد الآخر ذاك، السمج ميخائيل ستروغوف.

وبالرغم من أن الأرملة قد انصرفت إلا أن جزئياتها ظلت تتذبذب في الهواء. قال لها الشاعر «إلى اللقاء»، ووضع القبعة، ثم حرك بيده الستارة التي يختفي وراءها ماريو. وقال دون أن ينظر إليه:

ـ ماريو خيمينث، إنك شاحب مثل كيس دقيق.

لحق به الشاب إلى الشرفة حيث حاول الشاعر أن

يستنشق بعمق هواء البحر.

- إذا كنت أبدو من الخارج شاحباً يا دون بابلو، فإنني من الداخل أزرق مائل إلى السواد.

ـ ليست الصفات هي التي ستنقذك من حدائد أرملة غونثالث المحماة. إنني أتخيلك توزع الرسائل وأنت تحمل عكازاً أبيض، ومعك كلب أسود، ومحجري عينيك خاويين مثل طبق متسول.

- إذا كنت لا أستطيع أن أرى بياتريث، فما هي حاجتي إلى العينين؟

- أيها المعلم، مهما كان يأسك فإنه عليك أن تعلم أنني أسمح لك في هذا البيت بمحاولة الشعر، ولكن لن أسمح لك بأن تغني لي أغنيات البوليرو! ربما لن يصل الأمر بهذه السيدة غونثالث إلى تنفيذ تهديدها، ولكنها إذا فعلت ذلك، فإنك تستطيع أن تردد بكل جدارة الكليشه القائلة إن حياتك مظلمة مثل فم الذئب.

- إن هي فعلت بي شيئاً فسيكون مصيرها السجن.

يقوم الشاعر بالدوران نصف دورة مسرحية من وراء ظهر الفتى، ويقول بالاحتيال الذي كان يداعب فيه ياغو أذني عطيل:

ـ يحبسونها ساعتين ثم يطلقون سراحها دون شروط. ستتعلل بأنها تصرفت دفاعاً عن النفس. ستقول في مرافعتها إنك اعتديت على عذرية ربيبتها بالسلاح الأبيض: باستعارة غنائية مثل خنجر، قاطعة مثل ناب، مُؤثرة مثل غشاء بكارة.

الشعر بلعابه الصاخب ترك بصماته على حلمتي العروس. فمن أجل شيء أقل من هذا بكثير علقوا فرنسيس فيليون على شجرة ونفر الدم مثل وردة من عنقه.

أحس ماريو بعينيه تنديان، وخرج صوته مبللاً كذلك:

- لا يهمني أن تكشط هذه المرأة بسكين كل عظمة من عظامي.

- مؤسف ألا يكون هناك ثلاثي جيتارات لتعزف لك «تو- رو- رو- رو».

وواصل ساعي البريد وهو ذاهل:

ـ ما يؤلمني هو عدم قدرتي على رؤيتها. شفتاها الكرزيتان وعيناها الناعستان تحولتا إلى الليل نفسه. ألا أستطيع شم ذاك الدفء الذي يفوح منها!

- إذا أخذنا بما تقوله أمها فإنها حارقة أكثر منها دافئة.

- لماذا تطردني أمها؟ إنني أريد الزواج منها.

- حسب ما تقوله دونيا روسا، أنت لا تملك أي توفير سوى وسخ أظفارك.

- ولكنني شاب وسليم البنية. ولدي رئتان تنفخان بقوة أكبر من أكورديون.

ـ ولكنك لا تستخدمهما إلا لتتنهد من أجل بياتريث غونثالث. ها قد بدأ يخرج منك صوت ربوي مثل حورية تزين قيدوم سفينة شبحية.

- ها! برئتيّ هاتين أستطيع أن أنفخ أشرعة فرقاطة حتى

استراليا.

- بني، إذا ما ظللت تتألم من أجل الآنسة غونثالث، فلن يكون لديك خلال شهر من قوة النفخ ما يكفي لتطفئ شموع كعكة عيد ميلادك.

فانفجر ماريو:

- حسن، ماذا عليّ أن أفعل إذن؟

- أولاً وقبل كل شيء، عليك ألا تصرخ بي، فأنا لست أطرش!

- اعذرني يا دون بابلو.

أمسكه نيرودا من ذراعه وأوضح له الطريق:

- ثانياً، عليك أن تذهب إلى بيتك وتنام قيلولة طويلة. فعيناك غائرتان أعمق من طبق حساء.

- منذ أسبوع لم تغمض لي عين. الصيادون صاروا يدعونني «البومة».

- وخلال أسبوع سيضعونك في تلك السترة الخشبية التي يدعونها تحبباً النعش. هذه المحادثة يا ماريو خيمينث أطول من قطار الشحن. والآن، إلى اللقاء.

كانا قد بلغا البوابة، ففتحها بحركة مفخمة. ولكن، حتى ذقن ماريو نفسها تحجرت حين أحس بأنه يُدفع برفق إلى الطريق. فقال بتصميم:

- أيها الشاعر والرفيق، أنت أدخلتني في هذه الورطة، وعليك أنت أن تخرجني منها. أنت أهديتني كتبك، وعلمتني

أن أستخدم لساني في شيء غير إلصاق الطوابع. أنت المذنب في جعلي أقع في الحب.

ـ لا يا سيد! إن إهدائي إليك اثنين من كتبي هو أمر مختلف تماماً عن أن أكون قد سمحت لك بانتحال أشعاري. وأنت فوق ذلك أهديت إليها القصيدة التي كتبتها أنا لماتيلدي.

ـ الشعر ليس ملك من يكتبه، وإنما ملك من يستخدمه!

ـ تعجبني جداً هذه العبارة الديمقراطية، ولكننا لن نصل بالديمقراطية إلى حدّ التصويت ضمن الأسرة عمن هو الأب.

وفي غيبوبته، فتح ساعي البريد حقيبته وأخرج منها زجاجة نبيذ من الصنف الذي يفضله الشاعر. فلم يستطع هذا الأخير أن يتجنب إتباع ابتسامته برقة أشبه بالشفقة. تقدما ثانية إلى الصالة، ورفع الشاعر سماعة الهاتف وأدار القرص:

ـ السيدة روسا أرملة غونثالث؟ يتحدث إليك بابلو نيرودا مرة أخرى.

ومع أن ماريو تمنى لو يسمع الجواب من السماعة، إلا أن ردّ الأرملة لم يصل إلا إلى مسمع الشاعر الصبور.

ـ «حتى لو كنتَ يسوع المسيح مع حوارييه الاثني عشر. لن أسمح لساعي البريد ماريو خيمينث بالدخول إلى هذا المكان أبداً.»

داعب نيرودا شحمة أذنه، وجال ببصره نحو الفضاء.

ـ ماذا حدث لك يا دون بابلو؟

ـ لا شيء يا رجل، لا شيء. كل ما هنالك أنني صرت

أعرف الآن ما يشعر به الملاكم حين يسقط بالضربة القاضية من الجولة الأولى.

في ليلة الرابع من أيلول تناقل العالم بأسره خبراً مدوِّخاً: لقد كسب سلفادور ألليندي الانتخابات في تشيلي. إنه أول رئيس ماركسي يُنتخب بالتصويت الديمقراطي.

وخلال دقائق قليلة كانت حانة دونيا روسا تغص بالصيادين، والسياح الربيعيين، والطلاب الذين سيتغيبون عن المدرسة في اليوم التالي، ومعهم الشاعر بابلو نيرودا الذي اتبع إستراتجية رجل دولة، فغادر ملجأه ليتخلص من المكالمات الهاتفية الدولية من وكالات الأنباء العالمية التي تريد مقابلات معه. التنبؤ بأيام أفضل آتية جعل الزبائن يتصرفون بنقودهم بخفة واستهتار، ولم تجد روسا بُداً من إطلاق سراح بياتريث لتساعدها في الاحتفال.

ظل ماريو خيمينث على مسافة غير حذرة من المحل. وعندما ترجل موظف التلغراف من سيارته الفورد المبهمة موديل العام 40 لينضم إلى الحفلة، باغته ساعي البريد بتكليفه بمهمة تقبلها رئيسه في نشوته السياسية بأريحية. كان الأمر عبارة عن عملية قوادة صغيرة تتمثل في أن يهمس لبياتريث، حين تسمح له الظروف، بأنَّ ماريو ينتظرها في المستودع القريب الذي يحفظون فيه معدات الصيد.

وجاءت اللحظة المناسبة حين دخل النائب «لَبيه» إلى المحل ببدلة بيضاء مثل ابتسامته، وتقدم وسط صخب الصيادين

الذين كانوا يمازحونه «أخرج ذيلك» حتى وصل إلى الكونتوار حيث كان نيرودا يشرب بضع كؤوس، وقال له مع إيماءة وانحناءة تليقان ببلاط فرساي:

- هكذا هي قواعد اللعبة الديمقراطية يا دون بابلو. يجب على المرء أن يعرف كيف يخسر. إن المهزومين يحيون المنتصرين.

- تحياتي إذن أيها النائب - رد عليه نيرودا وهو يقدم إليه كأساً من النبيذ، ورفع كأسه ليقرعه بكأس لَبيه. فصفق الحضور، وهتف الصيادون «يحيا ألليندي»، ثم هتفوا بعد ذلك «يحيا نيرودا»، فنقل موظف التلغراف خفية رسالة ماريو وهو يكاد أن يبلل بشفتيه صوان أذن الفتاة.

تخلصت الصبية من دمجانة النبيذ ومن مئزرها، وتناولت بيضة من فوق طاولة الكونتوار، ومضت حافية إلى موعدها تحت مصابيح تلك الليلة المفعمة بالنجوم.

ما إن فتحت باب المستودع حتى استطاعت أن تميز بين شِباك الصيد المختلفة، ساعي البريد الجالس على مقعد إسكافي، فقد كان وجهه مصفوعاً بضوء أصفر ينبعث من مصباح بترولي. واستطاع ماريو بدوره أن يتعرف إلى التنورة القصيرة والبلوزة الضيقة نفسيهما اللتين رآها بهما أول مرة عند منضدة البيبي فوت، وكأنه يستحضر انفعالاته نفسها التي أحس بها آنذاك. وكما لو أنهما توافقا في ذكرياتهما، رفعت الفتاة البيضة الهشة بعد أن أغلقت الباب بقدمها، ووضعتها قريباً من شفتيها. ثم أنزلتها قليلاً نحو نهديها وجعلتها تنزلق في أثر الحزمة النابضة التي تشكلها أصابعها

المتراقصة، ثم زحلقتها على معدتها الصقيلة، وأوصلتها إلى بطنها، وانزلقت بها فوق أعضائها التناسلية، وأخفتها في مثلث التقاء الفخذين، مدفئة إياها لحظة، ووجهت بعد ذلك نظرتها الحامية إلى عيني ماريو محدقة فيه. أراد النهوض، ولكن الفتاة أوقفته بإيماءة. وضعت البيضة على جبهتها، ومرت بها فوق ذلك السطح النحاسي، وأوقفتها فوق أنفها، وحين وصلت إلى شفتيها أدخلتها إلى فمها وثبتتها بأسنانها.

وعرف ماريو في تلك اللحظة بالذات أن الانتصاب الذي كبحه بإخلاص شديد منذ شهور لم يكن سوى رابية صغيرة بالمقارنة مع الجبل الذي ينتصب الآن من عانته، مع البركان الذي راح يطلق في دمه حمماً لا علاقة لها بالاستعارات، ويشوش نظراته، ويحوّل حتى لعابه إلى سائل كثيف كأنه نوع من المني. أشارت له بياتريث أن يجثو على ركبتيه. ومع أن الأرضية كانت من خشب خشن، فقد بدت له سجادة أميرية حين دنت الفتاة منه شبه متهادية وحطت بجانبه.

أوضحت له بحركة من يديها بأن عليه أن يضع يديه على شكل سلّة. وإذا كانت الطاعة قد بدت له استسلاماً في أحد الأيام، فإنه لم يعد يتلهف عندئذ إلا إلى العبودية. مالت الفتاة إلى الوراء، فتدحرجت البيضة مثل بهلوان بليد، مجتازة كل سنتمتر من نسيج بلوزتها وتنورتها إلى أن استقرت في كفيّ ماريو. رفع نظره إلى بياتريث فرأى لسانها متحولاً إلى شعلة بين أسنانها، وعينيها مصممتين باضطراب، وجفنيها مترصدين بانتظار مبادرة الفتى. رفع ماريو البيضة قليلاً بنعومة، وكأنها على وشك أن تفقس. وضعها فوق بطن الفتاة وجعلها تنزلق على رِدفيها وهو يبتسم ابتسامة مشعوذ، ومرّ بها

على خط انتصاف المؤخرة، ودحرجها بأصابعه إلى الخاصرة اليمنى، وفي أثناء ذلك كانت بياتريث، بفمها المفتوح، تتابع نبضه ببطنها وإليتيها. وعندما أكملت البيضة مدارها أعادها الفتى إلى قوس البطن، واقتادها إلى فتحة ما بين النهدين، وتقدم معها ليجعلها ترسو عند العنق. أنزلت بياتريث ذقنها وأمسكت بالبيضة وهي تبتسم ابتسامة أقرب إلى الأمر منها إلى التودد. عندئذ تقدم ماريو بفمه إلى البيضة، وأمسكها بأسنانه، وانفصل عنها منتظراً أن تأتي هي وتأخذ البيضة من بين شفتيه بفمها. حين أحس بلحمها الدافئ يداعب قشرة البيضة، أسلم فمه للذة تفيض منه. كان أول جزء من جسدها طلاه، مسحه، هو ذلك الجزء الذي اعتادت هي أن تتنازل له عنه في أحلامه كآخر حصن في ملاحقة يأمل أن يلحس فيها كل مسام من مساماتها، وأصغر شعيرة زغب على ذراعها، وإسبالة رموشها الحريرية، وانحدار عنقها الدواري. إنه وقت الحصاد، فالحب قد نضج كثيفاً وصلباً في عظامه، وراحت الكلمات المنتظرة، هذه، هذه، هذه، هذه، هذه هي اللحظة، هذه، هذه، هذه هي اللحظة هذه.. وأغمض عينيه في الوقت الذي كانت هي تلتقط البيضة بفمها. احتضن ظهرها في العتمة بينما كان يعتمل في ذهنه انفجار أسماك براقة تنبثق من محيط راكد. كان هناك قمر غير محدود يحممه، وأيقن ـ ولعابه على رقبتها ـ أنه صار يدرك ما هي الأبدية. وصل إلى الخاصرة الأخرى لحبيبته، والتقط البيضة بأسنانه ثانية. فأصبحا كلاهما الآن كأنهما يرقصان على إيقاع موسيقى سرية، ففتحت هي بلوزتها وجعل ماريو البيضة تنزلق بين نهديها. فكت بياتريث حزامه، ورفعت الملابس الداخلية الخانقة، فهوت البيضة لتتحطم على

الأرض حين شدت الفتاة بلوزتها فوق رأسه وكشفت صدرها الذهبي تحت مصباح البترول. أنزل ماريو تنورتها القصيرة المتعبة، ففتنت أنفه المترصد رائحة أعشاب عانتها المزهرة، ولم يستطع إلا أن يلعقها بطرف لسانه. وفي هذه اللحظة بالذات أطلقت بياتريث صرخة مشوبة باللهاث، بالنحيب، بالإسراف، بالاختناق، بالموسيقى، بالحمى، امتدت بضع ثوان ارتج في أثنائها جسدها كله حتى التلاشي. تركت نفسها تنزلق إلى الأرضية الخشبية الخشنة، بعد أن وضعت إصبعاً فوق الشفة التي لحستها، سحبت الإصبع المبلل إلى قماش بنطاله السميك مداعبة تلك القمة النافرة، وقالت له بصوت أبح:

- لقد جعلتني أنتهِ أيها الأحمق.

أقيمت حفلة الزفاف بعد شهرين من تشغيل العدّاد، حسب تعبير موظف التلغراف. فروسا أرملة غونثالث المنحوتة من فطنة أمومية، لم يفتها ملاحظة أن المصارعات، بعد الافتتاح البهيج للبطولة، بدأت تأخذ شكل مواجهات صباحية ونهارية وليلية. فشحوب ساعي البريد ازداد حدة، ولم يكن ذلك بسبب نوبات الزكام التي شفي منها على ما يبدو بقدرة قادر. أما بياتريث غونثالث من جهتها، حسب دفتر ساعي البريد وشهود متطوعين، فكانت تزدهر، وتشع، وتومض، وتتألق، وتتلألأ، وتتهادى. وهكذا، عندما دخل ماريو خيمينث في أحد أيام السبت ليلاً إلى الحانة ليطلب يد الفتاة وهو على قناعة عميقة من أن حُبَّه سيُقطع بطلقة من بندقية الأرملة تُطيّر لسانه المزهر ودماغه على السواء، سارعت روسا أرملة غونثالث المدربة على الفلسفة البراغماتية إلى فتح زجاجة شمبانيا من نوع بالديبيسو ديمي - سك، وقدمت ثلاث كؤوس مترعة بالزبد، ووافقت على طلب ساعي البريد دون تكشيرة، ولكن بعبارة حلّت محل الرصاصة المرهوبة: «ما جرى قد جرى».

وقد كان هذا الشعار هو مسك الختام عند بوابة الكنيسة بالذات، حيث جرى تطويب ما لا يمكن إصلاحه، وذلك حين نظر موظف التلغراف، وهو عَلاّمة في التهور، إلى بدلة الجوخ الإنكليزي الزرقاء التي يرتديها نيرودا وهتف

بإعجاب:

ـ إنك تبدو بمنتهى الأناقة أيها الشاعر.

أحكم نيرودا ربطة العنق التي من حرير إيطالي وقال:

ـ إنني أقوم بعمل «بروفا جنرال». فقد عينني ألليندي للتو سفيراً في باريس.

ذرعت أرملة غونثالث جغرافية نيرودا ، من الصلعة حتى الحذاء ذي البريق الاحتفالي، وقالت:

ـ عصفور يأكل، لا بد أن يطير!

وبينما هم يتقدمون في ممر الكنيسة باتجاه المذبح، أسرّ نيرودا لماريو بما حدسه:

ـ أخشى ما أخشاه يا فتى هو أن تكون أرملة غونثالث مصممة على مواجهة حرب الاستعارات بمدفعية الأمثال.

كانت الحفلة قصيرة لسببين اثنين. فالأشبين الجليل تنتظره سيارة أجرة عند الباب لتنقله إلى المطار، وكان الزوجان الشابان متعجلين للبدء في الممارسات الشرعية بعد شهور من العمل السري. ولكن أبا ماريو رتب الأمر مع ذلك ليُدخل في الفونوغراف أسطوانة فالس إلى الياسمين لتيتو فيرناندث التيموكي، ومن خلال موسيقى الفالس أطلق دموعاً سريعة وهو يتذكر زوجته المتوفاة التي «ترى من السماء يوم سعادة ماريو هذا» وشدّ دونيا روسا إلى حلبة الرقص فتمنعت بعبارات تاريخية وهي تدور بين ذراعي الرجل «الفقير، إنما الشريف».

وقد أخفقت كل جهود ساعي البريد الرامية إلى جعل

نيرودا يرقص مرة أخرى على موسيقى *Wait a minute, Mr. Postman* لفريق البيتلز. فالشاعر كان يشعر بأنه قد بدأ مهمته الرسمية ولم يشأ الانزلاق في أمور يمكن لها أن تهيج صحافة المعارضة التي كانت تتحدث عن الإخفاق المدوي لحكومة ألليندي بالرغم من أنه لم يمض على تسلمها السلطة سوى ثلاثة شهور.

ولم يكتف موظف التلغراف بالإعلان عن أن الأسبوع كله سيكون أيام عطلة لمرؤوسه ماريو خيمينث، بل أعفاه كذلك من حضور الاجتماعات السياسية حيث يجري تنظيم الأسس لتعبئة المبادرات لصالح الحكومة الشعبية. وقال التلغرافي بغنى مجازي غير معروف عنه: «لا يمكن الاحتفاظ في الوقت نفسه بالعصفور في القفص وبالرأس في الوطن».

الفصول التي عاشها ماريو على فراش بياتريث الخشن خلال الشهور التالية، جعلته يشعر بأن كل المتع السابقة لم تكن سوى ملخص باهت للفيلم الذي يُقدم الآن على شاشة سينما مجسدة وبالألوان الطبيعية. لم تكن بشرة الفتاة لتُستنفد، فكل جزء، كل مسام، كل ثنية، كل زغب شعرة، بل وكل تجعيدة في عانتها كانت تبدو له بطعم مختلف.

بعد أربعة شهور من هذه الممارسات المتعة، اقتحمت روسا أرملة غونثالث في صباح أحد الأيام غرفة الزوجين، وكانت قد ترصدت بحذر قبل ذلك إلى أن سمعت آخر تأوه جنسي تطلقه ابنتها، فشدت دون مقدمات ملاءات السرير بقوة، ملقية إلى الأرض الجسدين الغراميين. وقالت عندئذ جملة واحدة سمعها ماريو بفزع وهو يخفي ما يتدلى بين ساقيه.

- عندما وافقت على زواجك من ابنتي، اعتقدت أن صهراً سينضم إلى الأسرة وليس بطالاً كسولاً.

رآها الشاب خيمينث تغادر الغرفة وهي تصفق الباب صفقة تاريخية. وحين بحث عن نظرة متضامنة من بياتريث تؤيد ملامحه الغاضبة، لم يجد منها سوى إيماءة قاسية.

- أمي على حق - قالت بنبرة جعلت الفتى يشعر للمرة الأولى أن الدماء التي تسري في عروقها هي دماء الأرملة. فصرخ بصوت يمكن لكل القرية أن تسمعه:

- ماذا تريدينني أن أفعل! الشاعر في باريس، وليس هناك من أوزع له الرسائل.

فنبحت عليه عروسه الرقيقة:

- ابحث لك عن عمل.

- أنا لم أتزوج لتقال لي الحماقات نفسها التي كان يقولها أبي.

وللمرة الثانية تعرض الباب لصفقة قوية أخرى أوقعت عن الجدار مغلف أسطوانة البيتلز المهداة من الشاعر. قاد دراجته بغضب إلى سان أنطونيو، وشاهد هناك فيلماً كوميدياً لروك هدسون ودوريس داي، ثم أمضى الساعات التالية في اختلاس النظر إلى سيقان فتيات المدارس في الساحة. ذهب طالباً مرافقة موظف التلغراف، ولكنه وجده يلقي في العاملين خطاباً حماسياً حول كيفية كسب معركة الإنتاج، وبعد بعض التثاؤب هناك، قفل راجعاً إلى المرسى. وبدل الدخول إلى الحانة، توجه إلى بيت أبيه.

وضع دون خوسيه زجاجة نبيذ على المنضدة، وقال له «أخبرني بما جرى». شرب الرجلان كأساً، وسارع الأب إلى تشخيص الحالة:

- عليك أن تبحث عن عمل يا بني.

وإذا كانت إرادة ماريو لا تتيح له الإقدام على مثل تلك الملحمة، فإن الحل جاء من تلقاء نفسه. فقد أرادت حكومة الوحدة الشعبية أن تُشعر الناس بوجودها في المرسى حين وضعت إدارة السياحة خطة إجازات ترفيهية لعمال أحد مصانع النسيج في سنتياغو. وجاء رفيق جيولوجي وجغرافي يدعى رودريغيث، متأجج اللسان والعينين، فدخل إلى الحانة حاملاً اقتراحاً لأرملة غونثالث: هل هي مستعدة لأن تكون على مستوى العصر وتحوّل حانتها إلى مطعم يقدم وجبتي الغداء والعشاء لجماعات من عشرين أسرة ستأتي لتخيم في الجوار خلال الصيف؟ ظلت الأرملة متحفظة لمدة خمس دقائق فقط. ولكن، عندما أطلعها الرفيق رودريغيث على الأرباح الكبيرة التي سيدّرها عليها هذا العمل الجديد، نظرت مضطرة إلى صهرها، وقالت له:

- هل أنت مستعد لأن تتولى المطبخ يا ماريو؟

أحس ماريو خيمينث بأنه قد هرم عشر سنوات في تلك اللحظة. وكانت بياتريث الرقيقة إلى جانبه تشجعه بابتسامة سعيدة.

- أجل. قال ذلك وهو يتناول كأس نبيذه بالحماسة نفسها التي شرب بها سقراط السم.

أضيفت الآن إلى استعارات الشاعر التي واصل ماريو

ترديدها وحفظها، بعض المأكولات التي كان الشاعر الحسي قد احتفل بها في كتب أغنياته: البصل («وردة الماء المكورة»)، الخرشوف («المتزيي بزي المحارب والمثقل كرمانة يدوية»)، السلور («ثعابين الماء العملاقة ذات اللحم الثلجي»)، الثوم («هذا العاج البديع»)، البندورة («أحشاء حمراء، شموس باردة»)، الزيت («أساس الحجل والمفتاح السماوي للمايونيز»)، البطاطا («طحين الليل»)، التونا («بالات أعماق المحيط» و«السهام الحدادية»)، الخوخ («كؤوس صغيرة من عنبر مذهب»)، التفاح («خدود نقية وكاملة بتورد الفجر»)، الملح («كريستال البحر، نسيان الأمواج»).

بعد وقت قصير وصل إلى الشاطئ بعض الشباب العمال الذين راحوا يغرسون أعمدة من القرية حتى الطريق العام. لأن الكهرباء، حسب قول الرفيق رودريغيث، ستصل إلى الصيادين في بيوتهم قبل انقضاء ثلاثة أسابيع. وقال وهو يفتل طرف شاربه: «ألليندي ينفذ ما وعد به». ولكن التقدم في القرية كان يحمل معه مشاكل موازية. ففي أحد الأيام كان ماريو يعدّ سلَطة على الطريقة التشيلية ضاغطاً بإصبعه على السكين لقطع البندورة، مثل راقص في قصيدة نيرودا («لابد لنا للأسف من ذبحها، لابد من الغوص بالسكين في أحشائها الحية»)، فلاحظ أن نظرة الرفيق رودريغيث معلقة بمؤخرة بياتريث وهي عائدة إلى الكونتوار بعد أن وضعت النبيذ على منضدته. وبعد لحظة من ذلك، حين افترت شفتاها لتبتسم له، قال الزبون متمادياً: «يا لهذه السَّلَطَة التشيلية». فقفز ماريو من فوق الكونتوار وهو يشهر السكين، رافعاً إياها بكلتا يديه فوق رأسه مثلما كان قد رأى في أفلام

الكاوبوي اليابانية، ووقف بجانب منضدة رودريغيث، ثم أنزل السكين بقسوة وبصورة عمودية ليجعلها تهتز متذبذبة وقد انغرس قرابة أربعة سنتمترات منها في سطح المنضدة الخشبي. فلم تراود الشكوك الرفيق رودريغيث المعتاد على الدقة الهندسية والقياسات الجيولوجية، في أن النادل الشاعر قد نفذ المشهد بحركة رمزية. فلو أن هذه السكين توغلت هكذا في لحم أي مسيحي، لأمكن لها أن تحوّل كبده إلى فتات. فطلب الحساب بوقار، وامتنع عن الدخول إلى الحانة لوقت طويل غير محدود ولانهائي. أما ماريو الذي كان قد تدرب بدوره على ترديد الأمثال من دونيا روسا التي تحاول دائماً أن تصيد عصفورين بحجر واحد، فقد ألمح إلى بياتريث بإيماءة، أن تعي كيف مازال النصل الرهيب مغروساً في خشب المنضدة الثمين، بالرغم من أن الحادثة قد جرت قبل دقيقة. فقالت هي:

ـ ناطح.

أرباح العمل الجديد أتاحت لدونيا روسا أن توظف بعض الاستثمارات كطعم لاجتذاب زبائن جدد. وكان أول تلك الاستثمارات شراء جهاز تلفزيون بأقساط شهرية غير مريحة، اجتذب إلى البار جمهوراً غير مستثمَر: نساء عمال مخيم الاصطياف اللاتي صرن يرسلن رجالهن إلى الخيام ليناموا قيلولة هادئة بعد وجبات الغداء الفاخرة التي يهدئ منها نبيذ أحمر يصعد إلى الرأس، فيشربن ما لا حصر له من كؤوس مغلي النعناع، وفناجين كبيرة من الشاي، بينما هن يلتهمن بشراهة صور المسلسل المكسيكي «ماريا بكل بساطة». وحين تظهر على الشاشة بعد كل حلقة لوحة نضالية

ماركسية في البرنامج الثقافي مندّدة بالإمبريالية الثقافية وبالأفكار الرجعية التي تغرسها الميلودراما في «شعبنا»، تطفئ النسوة التلفزيون وينصرفن إلى الحياكة أو إلى لعب الدومينو.

ومع أن ماريو كان يفكر على الدوام بأن حماته امرأة بخيلة - «يبدو أن هناك ثعابين سامة في محفظتك يا سيدتي» - إلا أنه بعد سنة من برش الجزر، وبكاء البصل، وتنظيف السمك تجمع لديه من النقود ما يكفي ليبدأ بالحلم في تحويل حلمه إلى حقيقة: شراء تذكرة سفر جوية وزيارة نيرودا في باريس.

زار موظف التلغراف الكنيسة وعرض الفكرة التي خطرت له على الكاهن الذي عقد قران الزوجين، فنزلا معاً إلى القبو، وتفحصا الأشياء المهملة فيه منذ أقيم استعراض مشاهد درب الصلب الأخير في سان أنطونيو الذي أقامه الأب آنيبال ريينا، الشهير بلقب «محكّ الملكة»، وهو لقب ورثه عنه في ما بعد ابنه الموهوب والاشتراكي، فوجدا جناحين مصنوعين من ريش أوز وبط ودجاج وطيور أخرى يمكن تحريكها بحبل، فيخفق الجناحان بحركة ملائكية. وبصبرٍ صائغ أقام الكاهن سقالة صغيرة بموازاة ظهر موظف البريد، وألبسه الجناحين بعد أن وضع على رأسه قبعته البلاستيكية الخضراء التي تشبه قبعات أشقياء نوادي القمار. ولمّع بمنظف براسو سلسلة الساعة الذهبية التي تزنر كرشه.

وعند الظهيرة كان موظف التلغراف يتقدم بجناحيه الاصطناعيين من جهة البحر نحو الحانة، وسط دهشة المستحمين الذين شاهدوا أسمن ملائكة التاريخ المقدس وأكبرهم سناً يجتاز رمال الشاطئ الملتهبة. أما ماريو وبياتريث وروسا الذين كانوا منهمكين في الحسابات لتدبير وجبة يتجاوزون بها مشاكل التموين المبكرة، فظنوا أنهم ضحية وهم مُتخيَّل. ولكن عندما صرخ موظف التلغراف من بعيد: «بريد من بابلو نيرودا إلى ماريو خيمينث» رافعاً بإحدى

يديه علبة تملؤها الطوابع وكأنها جواز سفر تشيلي، وتتدلى منها أشرطة ملونة أكثر مما على شجرة عيد ميلاده، وفي يده الأخرى رسالة نظيفة، طفا ساعي البريد على الرمال وانتزع العلبة والرسالة كلتيهما من يديه. وضعهما على المنضدة وهو غائب عن الوعي، وراح يتأملهما بافتتان كأنه يرى فيهما أثرين هيروغليفيين ثمينين. ولكن الأرملة التي استعادت السيطرة على دهشتها الحلمية، نهرت موظف التلغراف بصوت بريطاني:

- هل كانت الرياح مواتية؟

ـ كانت الرياح مواتية، ولكنني صادفت كثيراً من الطيور المعاكسة.

ضغط ماريو على صدغيه، ورمش وهو ينقل عينيه بين الشيئين.

- ماذا أفتح أولاً: الرسالة أم العلبة؟

فأصدرت دونيا روسا حكمها:

- العلبة يا بني. ففي الرسالة لا يوجد سوى كلمات.

- لا يا سيدتي، الرسالة أولاً.

- بل العلبة - قالت الأرملة ذلك ومدت يدها لتأخذها.

فحرك موظف البريد الهواء بأحد جناحيه، ورفع إصبعاً محذراً أمام أنف الأرملة.

- لا تكوني مادية يا حماتي.

فألقت المرأة بثقل جسدها إلى مسند الكرسي:

- أخبرني أنت يا من تظن نفسك مثقفاً. من هو المادي بنظرك؟

فتلعثم موظف التلغراف:

- هو الشخص الذي إذا تعين عليه أن يختار بين الوردة ولحم الدجاج، يختار لحم الدجاج على الدوام.

نهض ماريو متنحنحاً وقال:

- سيداتي سادتي، سأفتح الرسالة أولاً.

وبما إنه قرر أن يضم مغلف هذه الرسالة الذي يظهر عليه اسمه مكتوباً بحبر الشاعر الأخضر، إلى مجموعة غنائمه المعلقة على جدار غرفة النوم، فقد راح يشقه بصبر وحذر. ثم رفع الورقة التي فيه ووضعها أمام عينيه، وبدأ يقرأ حرفاً حرفاً بتأن حتى لا تفوته أدنى إشارة:

«العز- يز- ما - ر- يو- خيم- ينث - مجنح - القدم - ين»...

فاختطفت الأرملة منه الرسالة وشرعت بقراءتها بسرعة، دون توقف ودون أي تفخيم:

«العزيز ماريو خيمينث مجنح القدمين، ومن تملأ البال ذكراها بياتريث غونثالث دي خيمينث، شرارة إيسلا نيغرا وحريقها، والسيدة سامية المقام روسا أرملة غونثالث؛ وولي العهد المستقبلي العزيز بابلو نيفتالي خيمينث غونثالث، دولفين إيسلا نيغرا وأعظم سباح في مشيمة أمك الدافئة، يا من ستصبح عند خروجك إلى ضوء الشمس ملكاً للصخور والصيد، وبطلاً في إفزاع النوارس، أعزائي جميعاً، أحبائي الأربعة.»

«لم أكتب لكم من قبل مثلما وعدتكم، لأنني لم أشأ أن أرسل إليكم بطاقة بريدية عليها صورة لوحة "الباليرينا" لديغا. أعرف أن هذه الرسالة هي الأولى التي تتلقاها في حياتك يا ماريو، ولهذا رأيت أنه لا بد أن تصلك في مغلف؛ لأنها إذا لم تكن كذلك فلن تنفع. إنني أشعر بالرغبة في الضحك حين أفكر في أنك أنت نفسك من ستوزع هذه الرسالة لنفسك. ستروي لي في ما بعد كل ما يحدث في إيسلا، وستخبرني عما تفعله الآن بعد أن أصبح بريدي يأتي إلى باريس. آمل ألا يكونوا قد أقالوك من مصلحة البريد والبرق بسبب غياب الشاعر. أم أن الرئيس ألليندي قد عرض عليك وزارة ما؟»

«إن كوني سفيراً في فرنسا هو شيء جديد وغير مريح بالنسبة لي. ولكنه عمل ينطوي على تحدٍ. فنحن في تشيلي صنعنا ثورة على الطريقة التشيلية تحظى بالتقدير والجدّل. لقد تعاظم اسم تشيلي بصورة استثنائية.»

هممم!

ـ هذه الـ «هممم!» مني أنا ـ قالت الأرملة ذلك وغرقت مجدداً في قراءة الرسالة:

«إنني أعيش مع ماتيلدي في حجرة نوم فسيحة جداً بحيث يمكن أن يأوي إليها محارب مع حصانه. ولكنني أشعر بأنني بعيد، بعيد جداً عن أيامي ذات الأجنحة الزرقاء في بيتي بإيسلا نيغرا.»

«تقبلوا عناق جاركم وثيلستينكم[1] بابلو نيرودا.»

- فلنفتح العلبة - قالت دونيا روسا وهي تقطع الشرائط التي تربطها بسكين المطبخ المشؤوم. وتناول ماريو الرسالة وراح يتفحص بتمعن نهاية الصفحة وقفاها.

- أهذا هو كل شيء؟

- وما الذي تريده أكثر من هذا يا صهري؟

- ذلك الشيء الذي يسمونه «م.أ.» ويوضع بعد الانتهاء من الكتابة.

- لا، لا وجود في هذه الرسالة لأي فذلكة «م.أ.».

- من الغريب أن تكون قصيرة هكذا. لأنها إذا نظر إليها أحدنا من بعيد تبدو وكأنها أطول.

فقالت بياتريث:

- ما حدث هو أن أمي قرأتها بسرعة كبيرة.

وقالت دونيا روسا وهي توشك على الانتهاء من الخيط والعلبة:

- الكلمات تعني الشيء نفسه سواء قُرئت بسرعة أو ببطء. فالسرعة ليست لها أي علاقة بمعنى الأشياء.

ولكن بياتريث لم تستمع إلى تلك النظرية. فقد ركزت

---

[1] ثيليستينا Celestina هو اسم الشخصية الرئيسية في الكوميديا المأساوية الإسبانية التي تحمل الاسم نفسه، والمنسوبة إلى فرناندو دي روخاس. والسمة المميزة لشخصية ثيليستينا أنها كانت تسعى إلى جمع شمل الأحبة، ولا تتورع عن اللجوء إلى أساليب القوادة في سبيل ذلك. (م)

على أمارات الوجوم التي بدت على وجه ماريو، وكان يبدو كما لو أن البلبلة قد استحوذت عليه تماماً.

ـ بماذا تفكر؟

ـ أفكر في أن هناك شيئاً ناقصاً. عندما علموني كتابة الرسائل في المدرسة، قالوا لي إنه يجب أن نضع في نهايتها دائماً «م.أ.» ثم نضيف بعد ذلك شيئاً آخر لم نكن قد قلناه في الرسالة. إنني واثق من أن دون بابلو قد نسي شيئاً.

كانت روسا تبحث بين القش الكثير الذي يملأ العلبة إلى أن رفعت أخيراً، برقةٍ قابلة توليد، آلة تسجيل يابانية جداً ماركة سوني مزودة بميكرفون داخلي.

ـ لا بد أنها كلفت الشاعر مبلغاً كبيراً ـ قالت ذلك بوقار. وكانت تستعد لقراءة بطاقة مكتوبة بحبر أخضر ومربوطة بقطعة مطاط إلى الجهاز، عندما سارع ماريو إلى اختطافها منها.

ـ آه! لا يا سيدتي! أنت تقرئين بسرعة كبيرة.

وضع الباقة على بعد سنتمترات أمامه وكأنه يثبتها على مسند للقراءة، وبدأ يقرأ بأسلوبه التقليدي المقطَّع: «عز- يز- ي - ما - ر- يو- نقط - تان - اضـ - غط - على - الز- ر الأو- سط.»

فتظاهرت الأرملة بالتثاؤب:

ـ إنك تتأخر في قراءة البطاقة أكثر مما تطلّبت مني قراءة الرسالة.

المسألة هي أنك لا تقرئين الكلمات وإنما تلتهمينها التهاماً يا سيدتي. لابد من تذوق الكلمات. على المرء أن

يتركها تذوب في فمه.

قام بحركة حلزونية بإصبعه، ثم وجّهه على الفور إلى الزر الأوسط. وبالرغم من دقة التقنية اليابانية في تقليد صوت نيرودا، إلا أن ساعي البريد لم ينتبه إلى التقدم الإلكتروني الياباني إلا بعد عدة أيام، ذلك أن الكلمة الأولى التي نطق بها الشاعر أفقدته صوابه وكأنها إكسير. فقد كانت تلك الكلمة هي: «ملاحظة أخيرة».

فصرخ ماريو:

- كيف نوقفه!

ووضعت بياتريث إصبعها على الزر الأحمر.

- «ملاحظة أخيرة» راح الفتى يرقص وطبع في أثناء ذلك قبلة على خدّ حماته - لقد كنتُ على حق يا سيدتي. (م. أ.) تعني: «ملاحظة أخيرة!» لقد قلت لك إنه لا يمكن أن تكون هناك رسالة دون ملاحظة أخيرة. الشاعر لن ينساني. لقد كنت أعرف أنه لا بد للرسالة الأولى التي أتلقاها في حياتي من أن تأتي وفيها ملاحظة أخيرة! الآن أصبح كل شيء واضحاً يا حماتي العزيزة. الرسالة والملاحظة الأخيرة.

فردت الأرملة:

- حسن، حسن. الرسالة والملاحظة الأخيرة. وهل هذا هو ما يبكيك؟

- أنا؟

- أجل.

ـ بياتريث؟

ـ إنكَ تبكي.

ـ ولكن كيف يمكن أن أبكي وأنا لست حزيناً. لا وجود لأي شيء يؤلمني.

فزمجرت روسا:

ـ تبدو مثل منافق في مأتم. امسح وجهك واضغط الزر الأوسط وخلصنا.

ـ حسن، ولكن من البداية.

أرجع الشريط إلى بدايته، وضغط الزر المطلوب، فكانت هناك تلك العلبة من جديد وبداخلها الشاعر... نيرودا رنان ومتنقل. مدّ الشاب بصره باتجاه البحر، وأحس بأن المشهد يكتمل، وأنه كان يتحمل نقصاً منذ شهور، وأنه الآن يستطيع التنفس بعمق، وأن ذلك الإهداء «إلى صديقي ورفيقي ماريو خيمينث» كان إهداء مخلصاً.

سمع مرة أخرى وهو مفتون:

ـ «ملاحظة أخيرة».

فقالت الأرملة:

ـ اصمت.

ـ أنا لم أقل شيئاً.

«أردتُ أن أبعث إليك شيئاً آخر فضلاً عن الكلمات. وهكذا حشرتُ صوتي في قفص الغناء هذا. إنه قفصٌ مثل قفص عصفور. هذه هديتي إليك. ولكنني أريد أن أطلب منك

يا ماريو شيئاً لا يمكن لأحد سواك أن ينجزه. فجميع أصدقائي الآخرين، إما أنهم لن يعرفوا ماذا يفعلون أو أنهم سيفكرون في أنني عجوز خرف ومُضحك. أريد منك أن تتمشى بآلة التسجيل هذه في إيسلا نيغرا وتسجل لي كل الأصوات التي تجدها. إنني أحتاج إلى حدّ اليأس ولو لمجرد شبح بيتي. صحتي ليست على ما يرام. إنني أفتقد البحر. أفتقد العصافير. أبعث لي بأصوات بيتي. ادخل إلى الحديقة واقرع الأجراس. سجل أولاً ذلك الرنين النحيل الذي تُصدره الأجراس الصغيرة عندما تحركها الرياح، ثم شدّ بعد ذلك حبل الناقوس الأكبر خمس أو ست مرات. الجرس، جرسي! ليس هناك ما يرن مثل كلمة جرس إذا علقناها على برج أجراس بجانب البحر. واذهب إلى حيث الصخور، وسجل لي ارتطام الأمواج. وإذا سمعت نوارس، فسجل صوتها أيضاً. وإذا سمعت صمت النجوم الجنوبية، فسجله. باريس رائعة الحسن، ولكنها بدلة واسعة جداً على مقاسي. أضف إلى ذلك أن الدنيا هنا شتاء، والريح تذرو الثلج مثلما تذرو طاحونةٌ الدقيق. الثلج يصعد متسلقاً جلدي، إنه يجعلني ملكاً حزيناً بعباءته البيضاء. ها هو يصل إلى فمي، ويطبق شفتي، لم تعد الكلمات قادرة على الخروج مني.»

«وكي تعرف شيئاً عن موسيقى فرنسا، أرسل إليك تسجيلاً من العام 38 وجدته منسياً في دكان أسطوانات مستعملة في الحي اللاتيني. كم من المرات غنيتُ هذه الأغنية في شبابي؟ لقد كنت أرغب دائماً في اقتنائها ولم أستطع. اسمها *J'attendrai* وتغنيها رينا كيتي، وتقول كلماتها: "سأنتظر، ليلاً ونهاراً سأنتظر، وسأبقى إلى الأبد أنتظر

عودتك".»

بدأ صوت كلارينيت بأول النغمات، مهيباً، مسرنماً، ثم كررها سيلوفون خفيفة، نائية تقريباً. وحين رتلت رينا كيتي أول بيت منها رافقها الصوت الخافت والمجموعة، الأول هامساً والآخر متجرجراً. وعرف ماريو هذه المرة أن عينيه تضمختا ثانية بالدموع، ومع أنه أحب الأغنية منذ سماعها أول مرة، فقد مضى خلسة باتجاه الشاطئ إلى أن أصبح صخب الموج يحول دون وصول اللحن الكئيب إلى مسمعيه.

سجل حركة البحر بهوس هاوٍ مولع بجمع الغرائب.

وقصر حياته وعمله، أمام غضب روسا، على متابعة تذبذبات المد والجزر وارتفاع الموج، وحركة تطاير الموج بفعل الريح.

ربط جهاز الـ «سوني» بحبل وأنزله بين شقوق الصخر حيث السرطانات تحك كلاباتها، وأشجار الغويرو تعانق الأحجار.

وتوغل في زورق دون خوسيه إلى ما وراء خط تحطم الأمواج الأول، وبينما هو يحمي آلة التسجيل في قطعة من النايلون، توصل إلى تسجيل ستيريو تقريباً لمؤثرات أمواج ارتفاعها ثلاثة أمتار، كانت تتجه مثل عصي لتتلاشى عند الشاطئ.

وفي أيام أخرى هادئة، حالفه الحظ في تسجيل صوت مناقير النوارس وهي تنقض شاقولياً على أسماك السردين، وصوت طيرانها فوق سطح الماء وهي تمسك واثقة صيدها الأخير النابض بمنقارها.

وأتيحت له الفرصة أيضاً لتسجيل صوت بجعة، من تلك الطيور الفوضوية كثيرة اللغط، وهي تضرب جناحيها على طول الشاطئ وكأنها تهجس بأسراب السردين التي حطت

على الضفاف في اليوم التالي. وقد جمع أبناء الصيادين يومذاك أسماكاً كثيرة كانوا يصطادونها بمجرد تغطيسهم في البحر دلاء اللعب التي يستخدمونها في بناء قلاع على الرمال. ووُضعت على شِباك الشواء البدائية فوق المواقد أعداد هائلة من السردين جعلت الهررة المتخمة تحتفل بموسمها الغرامي في تلك الليلة تحت القمر المكتمل، بينما رأت دونيا روسا فريقاً من الصيادين يرجعون في الساعة العاشرة ليلاً وهم أكثر جفافاً من جنود الفرقة الأجنبية في الصحراء.

بعد ثلاث ساعات من العمل في إفراغ الدمجانات، دون أي مساعدة من ماريو الذي انهمك فعلاً في محاولة تسجيل حركة النجوم لنيرودا، صقلت أرملة غونثالث صورة جنود الفرقة الأجنبية بعبارة وجهتها إلى دون خوسيه: «أنتم اليوم أشد جفافاً من صورة جمل».

وبينما كان الجهاز السحري الياباني يلتقط أزيز نحلات شبقات في فترة اشتداد حدّة الشمس على مؤخراتها المتغضنة فوق أزهار الأقحوان الساحلية، وبينما الكلاب الشاردة تنبح على النيازك التي تهوي إلى المحيط الهادئ كما في حفلة رأس السنة، وبينما نواقيس شرفة بيت نيرودا تُحرك يدوياً أو ترن ذاتياً بفعل الريح، وبينما أنين حورية الفنار يمتد ويرتد مستحضراً كآبة سفينة شبحية في أعالي البحر، وبينما كانت طبلة أذن ماريو أولاً، ثم آلة التسجيل بعد ذلك، تكتشف وجود قلب صغير ينبض في أحشاء بياتريث غونثالث، بينما ذلك كله يتوالى، كانت «تناقضات السيرورة الاجتماعية والسياسية»، حسب ما كان يقول الرفيق رودريغيث وهو يفتل بعصبية شعر صدره، قد بدأت تتكشف

عن صعوبات جلية في القرية الصغيرة.

في البدء لم يعد هناك لحم بقري لمنح الحساء قوامه. ووجدت أرملة غونثالث نفسها مضطرة إلى ارتجال حساء يعتمد على الخضراوات التي تُجنى من المزارع المجاورة، ويُستقطب حول عظام فيها حنين إلى ألياف اللحم. وبعد أسبوع من تناول هذه الجرعة الإستراتيجية، شكّل الزبائن المصطافون لجنة، وطرحوا على أرملة غونثالث في اجتماع صاخب أنه، على الرغم من قناعتهم بأن سوء الإمداد بالمواد التموينية وانتشار السوق السوداء هو من أعمال الرجعية المتآمرة الساعية إلى الإطاحة بالرئيس ألليندي، إلا أنهم يرجونها ألا تحاول اعتبار ماء الخضار الباهت ذاك بديلاً للحساء البلدي. وأنهم في أقصى الحالات، كما قال الناطق باسمهم، سيتقبلونه على أنه حساء «مينسترونيه»؛ ولكن على السيدة روسا زوجة غونثالث سابقاً أن تخفض في هذه الحالة اسكودو واحداً على الأقل من ثمن وجبة الطعام. لم تولِ الأرملة اهتماماً مهذباً لتلك الحجج المتعقلة. وفي إشارة منها إلى الحماسة التي أبدتها البروليتاريا لانتخاب ألليندي، غسلت يديها من مشكلة انعدام المؤن بمثلٍ جادت به قريحتها الثاقبة: «كل خنزير يبحث عن طعامه بنفسه».

وقبل أن تعدّل الاتجاه، بدا على الأرملة كأنها تشكل صدى لشعار جهة يسارية كانت تعلن بانعدام مسؤولية بهيج عن «التقدم دون تسامح»، وواصلت تقديم مغلي أعشاب على أنه شاي، وحساء صفار البيض على أنه خلاصة الخضار واللحوم، وحساء الميتسترونيه بدل الطبيخ البلدي. ثم أضيفت مواد أخرى إلى قائمة المفقودات شملت: الزيت، السكر،

الرز، المنظفات، وحتى خمرة البيسكو سيئة السمعة التي كان السياح البائسون يتلهون بها لقضاء لياليهم في المخيم.

في هذه الأرض الخصبة ظهر في أحد الأيام النائب لَبيه بشاحنته الصغيرة، وجمع أهالي القرية للاستماع إلى كلماته. وبشعره المطلي بمادة زيتية على طريقة مغني التانغو الأرجنتيني غارديل، وابتسامته التي تشبه ابتسامة الجنرال بيرون، وجدَ مستمعين متقبلين جزئياً بين نساء الصيادين وزوجات السائحين حين اتهم الحكومة بالعجز، وبأنها أوقفت الإنتاج وتسببت في أكبر عملية اختفاء للمواد التموينية في تاريخ العالم: حتى السوفييت البائسين لم يعرفوا في أيام الحرب العالمية جوعاً مثل الذي يعانيه الشعب التشيلي البطل، وحتى أطفال أثيوبيا النحيلين صاروا يبدون أمراء أشداء بالمقارنة مع أبنائنا سيئي التغذية؛ ولم يعد هناك سوى طريق واحد لإنقاذ تشيلي من براثن الماركسية الدموية: الاستنكار الصاخب بقرع القدور إلى أن يصاب «الطاغية» ـ هكذا سمى الرئيس ألليندي ـ بالصمم، ويصغي إلى احتجاج الأهالي ويستقيل. وعندئذ يعود فراي أو أليساندري أو أي ديمقراطي آخر ترغبون فيه، فتتوفر لبلادنا الحرية والديمقراطية واللحم والفراريج والتلفزيون الملون.

هذا الخطاب الذي أثار بعض التصفيق من جانب النساء، تُوج بجملة أطلقها الرفيق رودريغيث الذي ترك طبق حسائه بارتباك حين سمع خطبة النائب:

ـ اللعنة على أمك!

ودون أن يستخدم مكبر الصوت، لثقته برئتيه

البروليتاريتين، أضاف إلى شتيمته بعض المعلومات التي لا بد «للرفيقات» من أن يعرفنها، إذا كن لا يردن الوقوع في أحابيل هؤلاء المشعوذين ذوي الياقات وربطات العنق الذين يخربون الإنتاج، ويكدسون المؤن في أقبيتهم مسببين الفقدان المصطنع للمواد، ويبيعون أنفسهم للإمبرياليين ويفرضون الحصار لإلحاق الهزيمة بحكومة الشعب. وعندما توج تصفيق النساء كلماته أيضاً، رفع بنطاله بقوة ونظر بتحد إلى لَبيبه الذي كان مدرباً على تحليل الظروف الموضوعية، فاكتفى بالابتسام بأريحية والإطراء على بقايا الديمقراطية في تشيلي التي تتيح حدوث مناظرة على مثل هذا المستوى الرفيع.

وفي الأيام التالية، أصبحت «تناقضات السيرورة»، كما يقول علماء الاجتماع في التلفزيون، ملموسة في قرية الصيادين بصورة عملية صارمة أكثر مما هي خطابية. فالصيادون الذين اقتنوا معدات أفضل بفضل قروض الحكومة الاشتراكية، وربما لأنهم تشجعوا بالأغنية الشعبية لفرقة كيلابايون، وبإيقاعها البديع «لا تقولي إنك لا تريدين سمك النازلي يا ماريوسا، فأنا آكل سمك النازلي وحسب»، والتي كان يستخدمها اقتصاديو ودعائيو النظام لتشجيع استهلاك الأسماك المحلية والتقليل من تسرب العملات الصعبة في شراء اللحوم، زادوا إنتاجهم من الصيد، وصارت الشاحنة المبردة التي تنقل الأسماك تنطلق كل يوم بحمولة كاملة إلى العاصمة.

وعندما لم تحضر الشاحنة الحيوية في ظهيرة أحد أيام الخميس من شهر تشرين الأول، وبدأت الأسماك تذبل تحت

الشمس الربيعية القوية، أدرك الصيادون أن قريتهم الفقيرة، إنما الشاعرية، لن تبقى بعيدة عن المحن التي تعصف ببقية أنحاء البلاد، والتي لم تكن تصلهم حتى ذلك الحين إلا من خلال المذياع أو تلفزيون دونيا روسا. وفي ليلة يوم الخميس ذاك، ظهر على الشاشة النائب لَبيه بصفته عضواً في اتحاد أرباب الشحن ليعلن أن هؤلاء قد بدؤوا إضراباً مفتوحاً للوصول إلى هدفين اثنين: أن يمنحهم الرئيس تعرفة خاصة لشراء قطع الغيار لشاحناتهم، وبعد ذلك، وبما أننا وصلنا إلى هذا الحد، أن يستقيل الرئيس نفسه.

بعد يومين من ذلك أعيدت الأسماك إلى البحر بعد أن عبق برائحة عفونتها الميناء الذي كان نقي الهواء في ما مضى، وتجمعت أكبر كمية من الذباب في تلك الفترة. وبعد أسبوعين، حاولت خلالهما البلاد بأسرها تجاوز آثار الإضراب بأعمال تطوعية، يميزها الاندفاع الوطني أكثر من الكفاءة والفعالية، انتهى الإضراب مُخلّفاً تشيلي كلها دون تموين وفي حالة من النزق. رجعت الشاحنة المبردة، ولكن الابتسامة لم تعد إلى وجوه العمال الخشنة.

روبيسبير، شارل ديغول، جان بول بلموندو، شارل ازنافو، بريجيت باردو، سيلفي فارتان، أدامو، هؤلاء جميعهم تعرضوا على يد ماريو خيمينث للقص دون هوادة، من كتب التاريخ الفرنسي أو المجلات المصورة، وقد أضفت مجموعة القصاصات هذه جدران غرفته لمحة كوزموبوليتية مميزة إلى جانب الملصق الضخم لباريس الذي أهدته إياه وكالة السياحة الوحيدة في سان أنطونيو، وفيه تظهر طائرة لشركة ايرفرانس تكاد تلامس قمة برج إيفل. ميوله الفرنسية العاصفة كانت مخففة مع ذلك ببعض الأشياء المحلية: راية التحالف العمالي الفلاحي (رانكيل)، ورسم للسيدة عذراء الكارمن، تحميها بياتريث بالأسنان والأضراس أمام تهديداته بنفيها إلى القبو، وصورة «الدبابة» كامبوس محمولاً على أجنحة مجيدة في الزمن الذي كان فيه فريق جامعة تشيلي بكرة القدم يسمى فريق «الباليه الأزرق»، وصورة للدكتور سلفادور ألليندي بالوشاح الرئاسي ثلاثي الألوان، وورقة منتزعة من تقويم مطبعة لورد كوشراني تثبت تاريخ ليلته الغرامية الأولى - والمتواصلة - مع بياتريث غونثالث.

وسط هذا الديكور البهيج، وبعد شهور من العمل المتقن، سجل ساعي البريد وهو يرصد ذبذبات جهازه الـ «السوني» الحساس، النص التالي الذي نعيد استنساخه هنا

مثلما سمعه بابلو نيرودا بعد أسبوعين من ذلك في مكتبه بباريس.

واحد، اثنان، ثلاثة. هل يتحرك السهم؟ أجل، إنه يتحرك (نحنحة). عزيزي دون بابلو، شكراً جزيلاً على الهدية والرسالة، مع أن الرسالة كانت كافية لإسعادنا. ولكن جهاز السوني جيد جداً ومثير للاهتمام، وأنا أحاول الآن نظم قصائد بتسجيلها فوراً في الجهاز دون كتابتها. إنما ليس هناك ما يستحق الذكر حتى الآن. لقد تأخرتُ في تنفيذ طلبك لأن إيسلا نيغرا في هذه الفترة لا توفر المطلوب. لقد أقيم هنا مخيم اصطياف للعمال، وأنا أعمل الآن في مطبخ الحانة. وكل أسبوع أذهب مرة واحدة على الدراجة إلى سان أنطونيو وأُحضر بعض الرسائل للمصطافين. جميعنا هنا على ما يرام وسعداء، وهناك حدث سعيد جديد وعظيم ستعرفه في ما بعد. أراهن بأن الفضول قد سيطر عليك تماماً. واصل الاستماع دون أن تقلب الشريط. بما أنني لا أعرف متى ستعلم بالخبر الطيب، فلن أضيع المزيد من وقتك الثمين. الشيء الوحيد الذي أود أن أقوله لك هو غرابة هذه الأشياء التي تحدث في الحياة. فأنت تشكو من أن الثلج يصل حتى أذنيك، بينما لم أر أنا قطُّ في حياتي ندفة ثلج واحدة. اللهم إلا في السينما بالطبع. كم أتمنى لو أنني معك في باريس لأستحم في الثلج، لأتعفر فيه مثل جرذ في طاحونة. غريب ألا يهطل الثلج عندنا هنا حتى في عيد الفصيح. لا شك أن ذلك من صنع الإمبريالية اليانكية! على أي حال، وكعربون امتنان على رسالتك البديعة وهديتك، أهدي إليك هذه القصيدة التي كتبتها لحضرتك، مستلهماً أشعارك، وأسميتها ـ لأنه لم

يخطر لي أي عنوان أقصر ـ: أغنية إلى الثلوج فوق نيرودا في باريس (توقف ونحنحة).

«أيتها الرفيقة الطرية للخطى المتكتمة
يا حليب السموات المتدفق،
يا مريولي المدرسي الناصع
يا ملاءات المسافرين الصامتين
المتنقلين من نُزل إلى نزل
وفي جيوبهم صورة مجعدة.
أيتها الآنسة الرقيقة المتعددة،
يا جناح آلاف الحمائم،
يا منديلاً ملوحاً بالوداع
إلى شيء لا أدري ما هو.
أرجوك يا جميلتي البيضاء،
اهطلي برفق على نيرودا في باريس،
ألبسيه بدلة أميرال احتفالية
ببياضك الناصع
وأعيديه أيتها الثلوج ببارجتك السريعة
إلى هذا المرفأ الذي اشتقنا فيه إليه.»

(صمت) حسن، إلى هنا تنتهي القصيدة، والآن أقدم إليك الأصوات التي طلبتها.

واحد، الريح في برج أجراس إيسلا نيغرا (يتلو ذلك قرابة دقيقة يُسمع فيها صوت الريح تداعب أجراس إيسلا نيغرا.)

اثنان، أنا أقرع الناقوس الكبير في إيسلا نيغرا. (يتلو ذلك صوت رنين الناقوس سبع مرات.)

ثلاثة، الأمواج على صخور إيسلا نيغرا. (مونتاج صوتي للطمات بحرية قوية على صخور الشاطئ. ربما نكون ملتقطة في يوم عاصف.)

أربعة، غناء النوارس. (دقيقتان من المؤثرات الصوتية المثيرة للفضول، يبدو أن من يسجل الصوت يقترب خلسة من النوارس المتوقفة على الأرض، حيث لا تُسمع أصواتها وحسب، بل وخفق أجنحتها البديع. وفي أثناء ذلك، عند الثانية الخامسة والأربعين من التسجيل، يُسمع صوت ماريو خيمينث صارخاً: ازعقي أيتها النوارس، ازعقي يا ابنة العاهرة.)

خمسة، خلية النحل. (قرابة ثلاث دقائق من الأزيز، مأخوذة من مكان متقدم خطر، وفي الخلفية يُسمع نباح كلاب وتغريد عصافير من الصعب تحديد نوعها.)

ستة، تراجع البحر. (دقيقة من التسجيل يبدو أن الميكروفون فيها يتابع عن قرب شديد صوت انحسار الموج عن الرمل إلى أن يمتزج الماء بالموجة الجديدة، قد يكون التسجيل مأخوذاً بينما ماريو يركض بجوار الماء المتراجع ويتوغل في البحر ليتوصل إلى تسجيل دقيق للاندماج المائي.)

سبعة، (جملة مترنمة بارتباك واضح، يتلوها صمت): السيد بابلو نيفتالي خيمينث غونثالث، ابننا. (يلي ذلك نحو عشر دقائق صاخبة من بكاء طفل حديث الولادة.)

مدخرات ماريو خيمينث المخصصة للقيام برحلة إلى مدينة النور استُهلكت بلسان ابنه المصاص بابلو نيفتالي الذي لم يكتف باستنفاد ثديي بياتريث، بل راح يتلهى في استهلاك زجاجات رضاعة مملوءة بالحليب مع الكاكاو، وبالرغم من أن ماريو كان يحصل عليها بسعر مخفض من الخدمات الطبية الوطنية، إلا أنها كانت قادرة على استنزاف أي ميزانية. وبعد سنة من مولده، لم يكن يبدو على بابلو نيفتالي أنه ماهر فقط في إظهار براعته في إفزاع طيور النورس، مثلما تنبأ عرابه الشاعري، وإنما كانت لديه خبرة مثيرة للفضول في الحوادث. فقد كان يحبو ليتسلق الحاجز الصخري صعوداً حتى حافة المرسى المكتظ بالقطط، ولم يكن يقلد أحداً سواها حتى ذلك الحين، لكي ينزلق بعد ذلك نحو المحيط واخزاً إليتيه بالقواقع القنفذية، وتاركاً السرطانات تعض أصابعه، وكاشطاً أنفه على نجوم البحر، ومبتلعاً كميات من المياه المالحة، حتى إنهم ظنوه ميتاً ثلاث مرات خلال فترة لا تتجاوز الثلاثة شهور. ومع أن ماريو خيمينث كان نصيراً لنوع من الاشتراكية الطوباوية، فقد ملّ من إلقاء مستقبله الفرنسي المشكوك فيه في جيب طبيب الأطفال، وفصّل قفصاً من الخشب كان يلقي فيه بابنه الحبيب، موقناً أن تلك هي الطريقة الوحيدة التي يستطيع بها أن ينعم بقيلولة مطمئنة لا تنتهي بجنازة.

عندما بدأت بالظهور أسنان الصغير خيمينث، وهو في قفصه الخشبي، حاول أن ينشر قضبان القفص بأسنانه اللبنية. ولكن لثته المجرحة بالشظايا الخشبية أدخلت شخصاً جديداً إلى الحانة وإلى ميزانية ماريو المستنفدة: إنه طبيب الأسنان.

وهكذا، عندما أعلن التلفزيون الوطني ظهر ذلك اليوم أنه سيبث في الليل صور بابلو نيرودا في ستوكهولم، وهو يقدم الشكر على منحه جائزة نوبل للآداب، اضطر ماريو إلى الاستدانة ليقيم أضخم حفلة مدوية عرفتها المنطقة.

أحضر موظف التلغراف جَدياً صغيراً من سان أنطونيو وفره له جزار اشتراكي بسعر يمكن ابتلاعه: «أسعار السوق الرمادية» كما قال هو نفسه. وقد أثمرت مساعيه كذلك في مجيء دومينغو غوثمان، عامل الميناء المربوع الذي كان يسلو آلام فقراته القطنية كل ليلة بالعزف على مجموعته الموسيقية ماركة ياماها ـ اليابانيون مرة أخرى ـ في ملهى لارويدا، أمام متعة تلك المؤخرات الساهرة التي تتحول إلى حسية وحشية حين ترقص على إيقاعاته التي أدخلها إلى تشيلي، مع فائق الاحترام، لويسين لاندايث.

جاء موظف التلغراف ودومينغو غوثمان في المقعد الأمامي لسيارة الفورد 40، بينما كان الجَدْي ومجموعة ياماها الموسيقية في المقعد الخلفي. وصلا في وقت مبكر، وكانا مزينين بأشرطة اشتراكية حمراء وبأعلام تشيلية من البلاستيك، وقد قدما الجَدي إلى أرملة غونثالث التي أعلنت بوقار أنها تقدم الطاعة أمام الشاعر نيرودا، ولكنها ستقرع طنجرتها، مثلما تفعل سيدات سنتياغو، إلى أن يرحل

الشيوعيون من الحكومة. وانتهت إلى القول: «إنهم كشعراء أفضل منهم رجال دولة».

وبمساعدة نساء فريق المصطافين الجدد، وكنّ في هذه المرة نصيرات مندفعات لألليندي، لا يتورعن عن توجيه لكمة قاضية لمن يحاول المساس بشعرة واحدة من ذيل تحالف الوحدة الشعبية، أعدّت بياتريث سَلطة وافرة من المساهمات الكثيرة التي قدمها الفلاحون المحليون، مما اضطرها إلى إحضار برميل الحمَّام إلى المطبخ كي تُغرق فيه الخس المشعث، والبندورة المتقافزة، والكرفس المتباهي، والسلق، والجزر، والفجل، والبطاطا الجيدة، والكزبرة العنيدة، وأوراق الحبق. وقد استهلكوا في صنع المايونيز وحده أربع عشرة بيضة، بل إنهم كلفوا الصغير نيفتالي بالمهمة الحساسة في رصد الدجاجة البلدية والصراخ «سننتصر» عندما تضع بيضتها اليومية لكسرها فوق ذلك المزيج الأصفر اللذيذ الذي بدا كثيفاً ومتماسكاً لأن أياً من النساء لم تكن - لحسن الحظ - حائضاً في ذلك المساء.

لم يبق كوخ صياد واحد لم يذهب إليه ماريو لدعوته إلى الحفلة. فقد قام بجولة على المرسى ومخيم المصطافين وهو يقرع جرس دراجته، ويشع بهجة لا يمكن مقارنتها إلا ببهجته يوم قذفت بياتريث من بطنها بابنهما الصغير بابلو نيفتالي الذي خرج بشعر طويل مسترسل على طريقة بول ماكارتني. وقد قال «الرفيق» رودريغيث للمصطافين إن منح جائزة نوبل لشخص تشيلي، حتى وإن كانت في الآداب، هو مفخرة لتشيلي وانتصار للرئيس ألليندي. ولكنه لم يكد ينهي عبارته حتى أحسَ الأبُ الشاب ماريو خيمينث بسخط يسري

كتيار كهربائي في كل أعصابه ويصل إلى نهاية كل شعرة في بدنه، فضغط على مرفق المتكلم واقتاده إلى شجرة الصفصاف. وبينما هما تحت الشجرة، وبسيطرة على النفس تعلمها من أفلام جورج رافت، أفلت ماريو مرفق الرفيق رودريغيث، وبلل شفتيه اللتين جففهما الغضب، وقال له بهدوء:

- هل تتذكر يا رفيق رودريغيث سكين المطبخ تلك التي أُفلتت من يدي مصادفة على المنضدة عندما كنتَ تأكل؟

فردّ المحرض السياسي وهو يداعب موضع البنكرياس:

- لم أنسَ ذلك.

هزّ ماريو رأسه، وزم شفتيه كأنه يريد أن يصفر لهرّ، ثم مرّ عليهما بطرف ظفر إبهامه وقال:

- مازلت أحتفظ بتلك السكين.

انضم إلى جوقة دومينغو غوثمان كل من خوليان دي لوس رييس على الجيتار، والصيني بيدرو آلاركون على الماراكا، وروسا أرملة غونثالث بصوتها، والرفيق رودريغيث بالبوق، فقد اختار أن يدس شيئاً في فمه يكون له مفعول القفل. أُجريت التدريبات على منصة الحانة، وقد عرف الجميع مسبقاً أن الرقص في الليل سيكون على ألحان *الشراع*. (*of course*، قالها طبيب العيون رادوميرو سبوتورنو الذي جاء على عجل إلى إيسلا نيغرا لمعالجة عين بابلو نيفتالي، فقد نقرته فيها الدجاجة البلدية بمكر في اللحظة التي كان الطفل يتفحص مؤخرتها كي يعلن عن نزول البيضة في الوقت المناسب)، وعلى موسيقى *قلة إيمان*، بضغط من الأرملة التي

كانت تجد إيقاعاً أقوى في موضوعات *الكالوغاس*، وفي رقصات الفانين الحركية، «*أيها القرش، أيها القرش*»، و«*كومبيا راقصة ماكوندو*»، و«*القضية وما فيها أن الجوقة سكرى*»، ووافقت كذلك ـ ليس استجابة لإلحاح الرفيق رودريغيث وإنما لتضليل ماريو ـ على أغنية «*لا تقولي لا لسمك النازلي يا ماريوسا*».

وضع ساعي البريد إلى جانب التلفزيون علماً تشيلياً، ومجلدي طبعة لوسادا من أعمال الشاعر مفتوحين على صفحة الإهداء، وقلم حبر جاف أخضر من أقلام الشاعر حصل عليه ماريو بطريقة غير شريفة، وهو أمر لا يعنينا الدخول في تفاصيله الآن، وجهاز السوني الذي كان يبث كاستهلال أو كمقبلات ـ ذلك أن ماريو لم يسمح بتناول حبة زيتون واحدة أو رشفة صغيرة من النبيذ قبل أن ينتهي الخطاب المنتظر ـ أصوات إيسلا نيغرا المسجلة.

ما كان صخباً، وجوعاً، وضجة، وتدريباً، توقف كله بصورة سحرية في الساعة 20، ففي اللحظات التي كان البحر يدفع فيها نسمات عليلة باتجاه الحانة، كانت قناة التلفزيون الوطني تبث عبر الأقمار الاصطناعية كلمة الشكر الختامية التي ألقاها صاحب جائزة نوبل للآداب بابلو نيرودا. كانت هناك ثانيةٌ، ثانية واحدة لا نهائية، بدا لماريو خلالها أن الصمت يلف القرية كأنه يحتضنها في قبلة. وعندما تكلم نيرودا في صورة التلفزيون الغبشة، خُيّل لماريو أن كلماته خيول سماوية تعدو نحو بيت الشاعر، لتذهب وتهز معالفها.

كان الحضور أطفالاً أمام مسرح دمى متحركة، وظن

مستمعو الخطاب في انتباههم المركّز بحدة أن نيرودا حاضر معهم فعلاً في الحانة. الفارق الوحيد هو أن الشاعر كان يلبس الآن بدلة فراك وليس عباءة البونتشو التي اعتاد أن يهرب بها إلى البار، تلك العباءة التي كان يضعها عندما ذهل أول مرة أمام جمال بياتريث غونثالث. لو أن نيرودا رأى جيرانه في إيسلا نيغرا مثلما كانوا يرونه، لكان انتبه إلى تحجر رموشهم، وكأنه يمكن لأي حركة في وجوههم أن تسبب ضياع بعض كلماته. وإذا ما غالت التقنية اليابانية يوماً في ابتكاراتها وتوصلت إلى دمج الكائنات الإلكترونية بالكائنات الجسدية، فسيكون بإمكان قرية إيسلا نيغرا الحالمة أن تقول إنها كانت الرائدة في هذه الظاهرة. وستفعل ذلك دون تبجح، مخضّبة بالعذوبة نفسها التي استمتعت بها إلى شاعرها:

«قبل مئة سنة من هذا اليوم بالضبط، كتب شاعر فقير ورائع، أشد اليائسين فظاعة، هذه النبوءة:

"A l'aurore, armes d'une ardente patience, nous entrerons aux splendides villes." «*عند الفجر، مسلحين بصبر متأجج، سندخل المدن الرائعة*».

«أنا أؤمن بنبوءة رامبو المتنبئ هذه. إنني آت من إقليم غامض، من بلاد مفصولة عما سواها بجغرافية قاطعة. كنتُ الأكثر هجراناً بين الشعراء، وكان شعري محلياً، مؤلماً، وماطراً. ولكنني كنت أثق على الدوام بالإنسان. لم أفقد الأمل قطّ. ولهذا وصلت إلى هنا بشعري ورايتي.»

«ما يتوجب عليّ في المحصلة أن أقوله لجميع البشر ذوي

النوايا الطيبة، للعمال، للشعراء، هو أن المستقبل الكامل قد تضمنته تلك العبارة لرامبو: بالصبر المتأجج فقط سنقتحم المدن الرائعة التي تمنح النور والعدالة والكرامة لجميع بني البشر.»

«وبهذا لا يكون الشعر قد غنى هباءً.»

أثارت هذا الكلمات تصفيقاً عفوياً من جانب الجمهور الملتف حول الجهاز، وفيضاً من الدموع لدى ماريو خيمينث الذي احتاج نصف دقيقة بعد هذا التصفيق، ليبتلع ما كان في أنفه، وليمسح وجنتيه المتضمختين، ثم يلتف بعد ذلك من الصف الأول ويبتسم شاكراً الهتاف لنيرودا وهو يرفع راحته إلى مستوى صدغه ويلوح بها بخفة مرشح لمجلس الشيوخ. اختفت صورة الشاعر عن الشاشة، وحلّت مكانها المذيعة لتعلن خبراً لم يسمعه موظف التلغراف إلا حين قالت المرأة: «نكرر: دمرت جماعة فاشية بالقنابل أبراج التوتر العالي في محافظة بالبارايسو. الاتحاد المركزي للعمال يدعو جميع أعضائه على امتداد البلاد للبقاء على أهبة الاستعداد»، وذلك قبل عشرين ثانية من اختطافه من المحل على يد سائحة ناضجة، ولكنها جيدة جداً، حسب قوله لدى عودته فجراً من فوق كثبان الشاطئ، حيث رافقها لمشاهدة الشهب المنقضة. (وقد قالت الأرملة مصححة: «بل الحيوانات المنوية المنقضة».)

ولأن الحقيقة الناصعة هي أن الحفلة قد استمرت إلى أن انتهت من تلقاء ذاتها. فقد رقصوا ثلاث مرات على أنغام سمكة قرش على مرمى البصر، حيث كان الجميع يرددون «آي آي، أي، سيأكلك القرش» باستثناء موظف التلغراف

الذي ظل حزيناً وساهماً مذ سمع نشرة الأخبار وحتى اللحظة التي راحت فيها السائحة الناضجة تعض صوان أذنه اليسرى وتقول له:

- لا شك أن موسيقى الشراع ستأتي بعد رقصة لاكومبا.

لقد سمعوا أغنية الشراع واستمتعوا بها تسع مرات، حتى أصبحت تبدو للمصطافين مألوفة جداً، على الرغم من موضوعها البذيء ورقصتها المتلاصقة الـ *check to cheek*، فقد ترنموا بها بحناجرهم المستنفدة بين كل قبلة وأخرى بالألسن.

وإذا كانت الليلة طويلة جداً، فإنه لا يمكن لأحد أن يقول إنه كان هناك نقصاً في النبيذ. فالمنضدة التي يجد ماريو أنّ زجاجتها قد وصلت إلى النصف، يسرع في الحال إلى خدمتها بدمجانة كبيرة «كي أوفر على نفسي الذهاب والإياب إلى القبو». وقد جاءت لحظة كان نصف المدعوين قد انتشروا فيها بين كثبان الرمل على الشاطئ، وحسب تقدير الأرملة فإن الأزواج هناك لم يكونوا مثلما هو موثق في سجلات الكنيسة والسجل المدني مئة بالمئة. وعندما أيقن ماريو من أن أياً من ضيوفه لم يعد قادراً على تذكّر اسمه أو عنوانه أو رقم بطاقته الانتخابية أو المكان الذي انتهت إليه زوجته، قرر أن الحفلة كانت ناجحة، وأنه يمكن لذلك الاختلاط أن يواصل ازدهاره دون حاجة إلى تشجيعه أو حضوره. فحلّ بحركة مصارع ثيران مئزر بياتريث من الخلف، وطوق خصرها بنعومة، وشدّ إليه ردفيها بالطريقة التي تستلذها، كما أثبتت له تلك التأوهات التي تطلقها بانسيابية وذلك النسغ الجنوني الذي يكفي لتشحيم عربة.

وبينما راح لسانه يبلل أذنها ويداه ترفعان إليتيها، أولج فيها وهما واقفان في المطبخ دون أن يزعج نفسه بخلع تنورتها.

تأوهت الفتاة وهي تتلوى كي يدخل حتى النهاية، وقالت:

- سيروننا يا حبي.

راح ماريو يضرب ردفيها ضربات قوية، مبللاً صدر الفتاة بلعابه وتلعثم:

- مؤسف أن جهاز السوني ليس معنا لنسجل هذه التحية لدون بابلو.

واهتز فور ذلك هزة راعدة، فوارة، مرعبة، سخية، بربرية وقياسية ظنت الديكة معها أن الفجر قد بزغ، فبدأت تصيح رافعة أعرافها المحمومة، وظنت الكلاب أن الزعيق صفارة سفينة ليلية في الجنوب فأخذت تنبح متوجهة نحو القمر كأنها تنفذ اتفاقاً غير مفهوم، أما الرفيق رودريغيث الذي كان يبلل أذن طالبة جامعية شيوعية بلعابه المبحوح، فقد أحس بأن رجفة تقطع الهواء عن حنجرته، فكان على روسا أرملة غونثالث أن تحاول تغطية الميكروفون بيدها وأن تبدأ ثانية غناء أغنية الشراع بصوتها الأوبرالي. وراحت تحرك ذراعيها مثل أجنحة طاحونة، مشجعة دومينغو غوثمان وبيدرو آلاركون على قرع الصنوج ونفخ البوق وهز الماراكا، أو أن يخبطوا الأرض بأقدامهم على الأقل، ولكن المعلم غوثمان أُقف بنظرة من عيني بيدرو الذي قال له:

- اهدأ أيها المعلم، فالأرملة مهتاجة إلى هذا الحدّ لأن الدور وصل إلى ابنتها الآن.

بعد اثنتي عشرة ثانية من هذه النبوءة، حين كان جميع الحضور الصامتين الثملين أو غير الواعين ينظرون مشدودين إلى المطبخ، وكأن مغنطيساً جباراً يجذبهم، وبينما كان آلاركون وغوثمان يتظاهران بمسح راحات أكفهم المتعرقة بقمصانهم قبل البدء بعزف موسيقى صاخبة، انطلقت تأوهات بياتريث النهائية المدوية نحو الليل النجمي بإيقاعات ألهمت الأزواج المنتشرين بين الكثبان (وطلبت السائحة من موظف التلغراف: «واحداً مثل هذا يا صغيري») فلمعت أذنا الأرملة واصطبغتا باللون الأرجواني، واستلهم كاهن الكنيسة المؤرق في البرج الكلمات التالية: «المجد للرب، نشيد آلام السيدة العذراء تحت الصليب، أنشد باللسان، يوم الغضب، مبارك الآتي، الرحمة أيها الرب، يا للملائكة»*.

بعد الزعقة الأخيرة بدا كما لو أن الليل قد أُترع بالرطوبة وساد صمتٌ تلا شيئاً مُعَكّراً ومُعكّراً. ألقت الأرملة بالميكروفون الذي لم يُفد في شيء على المنصة، وجاء من ناحية الكثبان والصخور بعض التصفيق المبكر والمتردد، ثم ما لبث أن انضم إليه تصفيق الجمع المتحمس في الحانة، والسائحين والصيادين حتى تحول إلى شلال هادر يتوعد بموجة من الوطنية حين صاح الرفيق رودريغيث: «فلتحيا تشيلي، يا للعنة!»، فتوجهت الأرملة نحو المطبخ لتكتشف في الظلمة بريق عيون ابنتها وصهرها المبهورين. أشارت بإصبعها الإبهام من فوق كتفها، وبصقت كلماتها للزوجين:

ـ هذا التصفيق لكما أيها الزغلولان.

---

* هذه العبارات المتفرقة جميعها عناوين صلوات وتراتيل باللغة اللاتينية في الأصل.

غطت بياتريث وجهها وهي تشعر بأن دموع السعادة بدأت تفور بخجل مفاجئ:

- لقد قلتُ لك من قبل، أليس كذلك!

رفع ماريو بنطاله وقال وهو يثبته بالحبل:

- حسن يا حماتي. إنسي الخجل اليوم، فنحن نحتفل هذه الليلة.

زمجرت الأرملة:

- وبأي مناسبة نحتفل؟

- بجائزة نوبل لدون بابلو. ألا ترين أننا قد كسبنا يا سيدتي!

- كسبنا؟

كانت دونيا روسا على وشك أن تطبق قبضتها وتوجه إليه لكمة على ذلك اللسان المخادع، أو توجه ركلة إلى تينك الخصيتين عديمتي المسؤولية. ولكنها وجدت في لحظة إلهام أنه من الخير لها اللجوء إلى الأمثال، فقالت قبل أن تصفق الباب:

- «قالت الناموسة إننا نحرث».

حسب ملفات الدكتور خورخيو سوليمانو، أصيب الطفل بابلو نيفتالي حتى شهر آب 1973 بالأمراض التالية: الحصبة الألمانية، الحصبة، الطفح الجلدي، التهاب القصبات، تلبكات معوية، التهاب اللوزتين، التهاب البلعوم، التهاب القولون، التواء الكاحل، كسر عظمة الأنف، رضوض في قصبة الساق، جروح في الرأس، حرق من الدرجة الثانية في الذراع الأيمن نتيجة محاولته إخراج الدجاجة البلدية من قدر يغلي، وتقيح الإصبع الصغرى في القدم اليمنى إثر دوسه على قوقعة قنفذية كبيرة الحجم، حتى إنها عندما انتزعها ماريو وشقها انتقاماً، كانت كافية لإعداد عشاء للأسرة كلها دون إضافة أي شيء آخر سوى بعض التوابل والليمون والقليل من الفلفل.

كان التردد على مركز الإسعاف في مستشفى سان أنطونيو كثيراً إلى حدٍّ تخلي معه ماريو عن الرفات الفاني لرحلته اليوتوبية إلى باريس كي يشتري دراجة نارية أتاحت له الوصول السريع والآمن إلى المرسى في كل مرة يغتال فيها بابلو نيفتاليٍ أحد أجزاء جسده. وقد وفرت تلك المركبة كذلك نوعاً آخر من الراحة للأسرة، فبعد التزايد المطرد لإضرابات سائقي الشاحنات وسيارات الأجرة وأصحاب المتاجر وتوقفهم عن العمل، كانت هناك ليالٍ لم يتوفر فيها حتى الخبز في الحانة، لأن أحداً لم يعد يجد الدقيق.

فكانت الدراجة النارية هي الشريك المتواطئ مع ماريو للتخلص تدريجياً من أعمال المطبخ والتفرغ لاستكشاف تلك الأماكن التي يستطيع أن يشتري منها شيئاً يمكن به للأرملة أن تبعث السعادة في القدور.

ـ لدينا نقود، لدينا حرية، ولكن ليس هناك ما نشتريه ـ هكذا كانت الأرملة تفلسف الأمور في جلسات الشاي مع السائحين أمام جهاز التلفزيون.

بينما كان ماريو في إحدى الليالي يراجع الدرس الثاني من كتاب *Bonjour, Paris* متحمساً لموضوع ريتا كيتي ولبياتريث التي اعترفت له بأن تلك الغرغرات التي يُصدرها وهو ينطق حرف «ر» هي بوابة مشرعة لإتقان لغة فرنسية مثل لغة أناس الشانزلزيه، رن صوت ناقوس مألوف جداً فانتزعه إلى الأبد من حالات شذوذ الفعل éter. رأته بياتريث ينهض باندفاع، ويمضي نحو النافذة، ويفتحها ويسمع كل أبعاد دقة الناقوس الثانية التي خرج على دويها جيران آخرون من بيوتهم.

أسرع وهو منوّم إلى تعليق حقيبته الجلدية على كتفه، وكان على وشك الخروج إلى الشارع عندما أوقفته بياتريث بإمساكه من عنقه وبعبارة غونثالية جداً:

ـ هذه القرية لا تتحمل فضيحتين في أقل من سنة واحدة.

واقتادت ساعي البريد باتجاه المرآة، وحين رأى أن اللباس الوحيد على جسده هو حقيبة الرسائل التي لا تكاد تغطي بوضعها ذاك واحدة من إليتيه، قال لصورته في المرآة:

ـ *Tu es fou, petit!*

ظل طوال الليل يتأمل مسار القمر إلى أن انبلج الصبح. لقد كانت كثيرة جداً الموضوعات المعلقة التي سيتحدث فيها مع الشاعر، ولكن عودة الشاعر المفاجئة هذه أقلقته. كان واضحاً لديه أنه لا بد له من أن يسأل أولاً ـ كواجب أخلاقي ـ عن سفارته في باريس، وعن أسباب عودته، وعن الممثلات الرائجات، وعن أزياء الموسم (وربما يكون قد أحضر معه فستاناً يهديه لبياتريث)، وبعد ذلك سيدخل في الموضوع المهم: أعماله الكاملة المختارة ـ وسيشدد على كلمة المختارة ـ التي ملأت بخط منمق الألبوم الذي قدمه إليه النائب لَبيه، وسيرفق ذلك بإعلان بلدية سان أنطونيو الموقرة عن دعوتها لمسابقة شعرية جائزتها الأولى «زهرة طبيعية، ونشر النص الفائز في مجلة لاكنتا رويدا، ومبلغ خمسين ألف اسكودو نقداً». وستكون مهمة الشاعر التنقيب في الدفتر، واختيار إحدى القصائد، ولا باس كذلك، إذا لم يكن هناك إزعاج، من وضع لمسة أخيرة على القصيدة لتحصل على مزيد من النقاط في المسابقة.

رابط على الباب قبل موعد فتح متجر الخبز، وقبل أن يُسمع نهيق حمار بائع الحليب، وقبل أن تصيح الديكة، وقبل أن يُطفأ مصباح عمود النور الوحيد في الشارع. وبينما هو في كنزته البحرية السميكة، كان يراقب مستنفداً أي إشارة حياة في البيت. وكل نصف ساعة كان يقول لنفسه ربما تكون رحلة الشاعر قد أنهكته، وربما يكون قد نهض سعيداً في فراشه الصوفي، وربما تكون دونيا ماتيلدي قد حملت له الفطور إلى السرير، ولم يفقد الأمل، حتى عندما بدأت أصابع قدميه تؤلمه من البرد، في أن تظهر رموش

الشاعر الغائمة في إطار الباب وتوجه إليه تلك الابتسامة الساهية التي طالما حلم بها طوال شهور عديدة.

في حوالي الساعة العاشرة، وتحت شمس باهتة، فتحت دونيا ماتيلدي البوابة وهي تحمل في يدها حقيبة مشتريات شبكية. هرع الشاب لتحيتها وهو يضرب بسعادة على جلد حقيبته ثم يرسم بعد ذلك في الهواء الحجم الهائل للمراسلات المتأخرة المتراكمة فيها. شدت المرأة على يده بحرارة، ولكن رمشة واحدة من عينيها المعبرتين كانت كافية كي يلمح ماريو الحزن في ما وراء مشاعر المودة.

قالت:

- بابلو مريض.

فتحت الحقيبة الشبكية وأومأت إليه كي يلقي الرسائل فيها. أراد أن يقول لها «ألا تسمحين لي بإيصالها إلى غرفته؟»، ولكن وقار ماتيلدي الرقيق لجمه، وبعد أن نفذ ما طلبته، نظر إلى حقيبته الفارغة، وسألها وهو يعرف الجواب تقريباً:

- أهو في حالة خطرة؟

هزت ماتيلدي رأسها ومشى ساعي البريد معها بضع خطوات باتجاه متجر الخبز، فاشترى كيلوغراماً من الخبز، وبعد نصف ساعة من ذلك، وبينما فتات الخبز يتساقط منه على صفحات الألبوم، اتخذ قراره المستقل بالتقدم إلى المسابقة الشعرية الأولى بقصيدته «رسم بقلم الرصاص لبابلو نيفتالي خيمينث غونثالث».

تقيد ماريو خيمينث بقواعد المسابقة بصرامة كاملة. ففي مغلف منفصل عن القصيدة، دوّن في بنود متتالية، بخجل، موجزاً لسيرة حياته، ولمجرد تزيينها قليلاً وضع في النهاية بنداً إضافياً: «أمسيات عديدة». طلب من موظف التلغراف أن يطبع له على الآلة الكاتبة العنوان على المغلف، واختتم الطقوس بإذابة شمع أحمر فوق المغلف ثم ختم تلك العجينة الحمراء بالخاتم الرسمي للبريد التشيلي.

ـ في المظهر والوزن ليس هناك من يتفوق عليك ـ قال له ذلك دون كوسمي وهو يزن الرسالة، وباعتباره حامياً للآداب والفنون، فقد أباح لنفسه اختلاس طابعين.

أثار جزع الانتظار عصبية ماريو، ولكنه كبح على الأقل قلقه من عدم رؤية الشاعر كلما حمل إليه البريد. وقد سمع في مناسبتين مبكرتين نتفاً من الحوار بين دونيا ماتيلدي والطبيب، ولكنه لم يتوصل إلى معرفة حقيقة الحالة الصحية للشاعر. وفي مناسبة ثالثة، ظل يتمشى أمام الباب بعد أن سلّم الرسائل، وعندما توجه الطبيب إلى سيارته سأله وهو متعرق ومتلهف عن حالة الشاعر. ولكن الجواب أغرقه أول الأمر في الحيرة، ثم في المعجم بعد نصف ساعة من ذلك.

ـ حالة ركود. .

في يوم 18 أيلول 1973، كانت مجلة لاكينتا رويدا ستنشر عدداً خاصاً بمناسبة ذكرى استقلال تشيلي، وعلى صفحات هذا العدد الموعود الرئيسية، كانت ستُنشر بحروف كبيرة القصيدة الفائزة. وقبل أسبوع من الموعد المنتظر بلهفة، حلم ماريو خيمينث بأن قصيدة رسم بقلم الرصاص لبابلو نيفتالي خيمينث غونثالث قد كسبت الجائزة، وأن بابلو نيرودا شخصياً قدم إليه الزهرة الطبيعية وشيكاً بقيمة الجائزة. ولكن ضربات متوترة على النافذة أخرجته من ذلك الفردوس. مضى نحو النافذة متلمساً طريقه وهو يطلق اللعنات، وحين فتحها رأى موظف التلغراف متخفياً تحت عباءة بونتشو يبادره بإسماعه مذياعاً صغيراً يبث موسيقى عسكرية ألمانية معروفة باسم *Alte Kamaraden*. كانت عيناه تتدليان مثل حبتي عنب كئيبتين في الضباب الكثيف. ودون أن ينطق بكلمة أو يومئ بحركة راح يدير مؤشر الجهاز، وكانت تصدح في كل محطات البث الموسيقى العسكرية المرهوبة نفسها. بعد ذلك هز كتفيه، واستغرق وقتاً لا نهائياً، طويلاً، بطيئاً في إخفاء المذياع تحت عباءة البونتشو المتعبة، وقال بتوتر:

- أنا سأختفي!

سوّى ماريو شعره الطويل بأصابعه، ثم تناول الكنزة البحرية، وقفز من النافذة باتجاه الدراجة النارية، وقال:

- سأذهب لإحضار بريد الشاعر.

فاعترض موظف التلغراف سبيله وضغط بيديه على مقود الدراجة النارية:

ـ هل تريد الانتحار؟

رفعا كلاهما وجهيهما نحو السماء الغائمة، ورأيا ثلاث طائرات هليكوبتر تمر باتجاه الميناء.

ـ أعطني المفاتيح أيها الرئيس ـ صرخ ماريو وهو يضيف إلى هدير الحوامات دوي محرك دراجة الفيسبا.

أعطاه دون كوسمي المفاتيح، وظل ممسكاً بقبضة الشاب:

ـ ارمها إلى البحر بعد أن تنهي. فهكذا سنضايق هؤلاء القوادين قليلاً على الأقل.

كانت القوات العسكرية في سان أنطونيو قد احتلت المباني العامة، وكانت الرشاشات تطل من كل شرفة متوعدة بحركة بندولية. أما الشوارع فكانت شبه مقفرة. وقبل أن يصل ماريو إلى مركز البريد سمع تبادلاً للرصاص من جهة الشمال. كان إطلاق النار محدوداً في البدء، ولكنه اشتد بعد ذلك. وعند بوابه البريد كان هناك جندي يدخن وهو منحنٍ من البرد، وقد وقف متأهباً عندما وصل ماريو إلى جانبه ملوحاً بالمفاتيح.

قال له الجندي وهو يطلق آخر دخان السيجارة:

ـ من أنت؟

ـ أنا أعمل هنا.

ـ ماذا تعمل؟

ـ موزع بريد.

ـ من الأفضل أن ترجع إلى بيتك!

ـ عليّ أن آخذ الرسائل أولاً.

ـ اللعنة! الشوارع تشتعل بالرصاص وأنت لا تزال هنا.

ـ إنه عملي.

ـ خذ الرسائل وانصرف. هل سمعت؟

ذهب إلى منضدة تصنيف الرسائل وبحث بين المراسلات مستخرجاً منها خمس رسائل للشاعر. ثم اتجه بعد ذلك إلى جهاز التلكس ورفع الورقة المسفوحة على الأرض مثل سجادة، وميز فيها قرابة عشرين برقية مستعجلة موجهة إلى الشاعر. شقها بشَدَّة واحدة، ثم لفها على ذارعه اليسرى ووضعها في الحقيبة مع الرسائل. اشتد تبادل إطلاق النار الآن أكثر من جهة الميناء، وتفحص الشاب الجدران بديكورها النضالي الذي أعدّه دون كوسمي: يمكن لصورة سلفادور ألليندي أن تبقى في مكانها لأنه، ما لم تتغير قوانين تشيلي، سيبقى الرئيس الدستوري حتى ولو كان ميتاً. ولكنه انتزع عن الجدار لحية ماركس الكثة، وعيني تشي غيفارا الناريتين، ودسّ الصورتين في الحقيبة. وقبل أن يخرج قام بعمل مختلف كان سيبعث السعادة في نفس رئيسه مهما كان حزنه: فقد اعتمر قبعة ساعي البريد الرسمية مخفياً تحتها شعره الطويل الذي بدا له الآن سرياً تماماً وهو يرى صرامة قصة شعر الجندي.

سأله الجندي لدى خروجه:

ـ هل كل شيء على ما يرام؟

ـ كل شيء على ما يرام.

ـ أراك قد وضعت قبعة ساعي البريد؟

لامس ماريو لبضع ثوانٍ إطار القبعة القاسي كما لو أنه يريد التأكد من أنها تغطي شعره، ثم شدّ الواقية فوق عينيه بحركة متثاقلة.

ـ من الآن فصاعداً لا يوجد استخدام آخر للرأس سوى حمل القبعة.

بلل الجندي شفتيه بطرف لسانه، ووضع بين سنيه الأوسطين سيجارة جديدة، ثم أخرجها لحظة ليبصق خيطاً من التبغ الذهبي، وبينما هو يتفحص أزراره قال لماريو دون أن ينظر إليه:

ـ هيا تحرك أيها الجَدي.

كانت جماعة من الجنود قد أقامت حاجزاً على مقربة شديدة من بيت نيرودا، وإلى الوراء كانت هناك شاحنة عسكرية تدير ضوء صفارة الإنذار إنما دون إصدار دوي. كان يهطل مطر خفيف؛ رذاذ ساحلي بارد، يزعج أكثر مما يبلل. اتخذ ساعي البريد طريقاً مختصراً، ومن فوق قمة الرابية الصغيرة، وبينما خده غارق في الوحل، كوّن صورة للوضع: شارع الشاعر مسدود من جهة الشمال، ويحرسه ثلاثة جنود قرب متجر الخبز. وكل من يضطر إلى اجتياز هذا المقطع من الطريق، لا بد له من الخضوع للتفتيش من قبل العسكريين. كل ورقة في محفظة أي عابر كانت تُقرأ بحرص للتخفيف من ضجر حراسة ذلك الشاطئ التافه أكثر مما هو للتدقيق في نشاطات معادية؛ وإذا كان العابر يحمل حقيبة، كان يُطلب منه دون عنف أن يُخرج كل ما فيها قطعة قطعة: المنظف، كيس الشعيرية، علبة الشاي، حبات التفاح، كيلو البطاطا. ثم يُسمح له بعد ذلك بالمرور بحركة ضجرة من اليد. وبالرغم من أن ذلك كله كان جديداً، فقد بدا لماريو أن لتصرف العسكريين طعماً روتينياً. ولم يكن المجندون يُظهرون التشدد والتسرع إلا عندما يأتي بين فترة وأخرى ضابط ذو شارب وصوت متوعد.

ظل يراقب الوضع حتى منتصف النهار. ثم نزل بعد ذلك بحذر، وقام بالتفافة واسعة جداً حول البيوت المتفرقة، دون أن

يأخذ الدراجة النارية، ووصل إلى الشاطئ عند مستوى المرسى، ودار حول وهاد الساحل، وتقدم نحو بيت نيرودا عبر الرمال.

وفي كهف قريب من الكثبان، خبأ حقيبته وراء صخرة ذات حواف خطرة، وبأقصى قدر من الحذر الذي تتيحه له طائرات الهليكوبتر المتزايدة التي تحلق قريبة من الأرض ممشطة الشاطئ. فتح اللفافة التي تضم البرقيات، وظل يقرأها طوال ساعة. وبعد ذلك جعد الورقة بين راحتيه ثم وضعها تحت حجر. وبالرغم من أن المسافة حتى برج الأجراس كانت صعوداً، إلا أنها لم تكن بعيدة. إنما أوقفه ذلك العبور المكثف للطائرات والحوامات التي تمكنت من نفي النوارس والبجع من المكان. وبسبب سوء تعشيق مسننات مراوحها والانسيابية التي تبقيها معلقة فجأة فوق بيت الشاعر، بدت له كأنها وحوش ضارية تشم شيئاً، أو عيون نهمة واشية، وكبح اندفاعه في صعود الرابية وتعريض نفسه للسقوط، أو للمباغتة من قبل حراس الطريق. بحث عن الظلال ليتحرك بينها. وبالرغم من عدم وجود الظلام، إلا أنه رأى أن الصخور القاتمة المعلقة توفر له شيئاً من الحماية، لولا وجود هذه الشمس التي تشق الغيوم أحياناً وتكشف حتى بقايا الزجاجات المكسرة والحصى المصقولة اللامعة على الشاطئ.

حين وصل إلى النواقيس، تمنى لو يجد ينبوع ماء يستطيع أن يغسل بمائه الخدوش التي على خديه ويديه، والتي كانت تسيل منها خيوط دم مختلطة بالعرق.

وعندما أطل على الشرفة، رأى ماتيلدي تقاطع ذراعيها على صدرها وتنظر مشوشة إلى البحر. وقد حوّلت المرأة

بصرها حين أومأ إليها ساعي البريد، فرفع إصبعه إلى شفتيه طالباً منها الصمت. انتبهت ماتيلدي إلى أن الطريق إلى غرفة الشاعر لا يقع في مجال رؤية الحراس الذين في الشارع، فأومأت له برموشها إلى الممر الموصل إلى حجرة النوم.

كان عليه أن يُبقي الباب موارباً للحظة كي يرى نيرودا في تلك العتمة العابقة برائحة الأدوية والمراهم والخشب الرطب. خطا على السجادة حتى السرير بتمهل مثل من يدخل معبداً، وتأثر لأنفاس الشاعر المتحشرجة، وذلك الهواء الذي يبدو كأنه يجرح حنجرته قبل أن يخرج منها.

- دون بابلو.

همس بصوت خافت، كأنه يوافق ضبط صوته مع الضوء الخافت المنبعث من مصباح السرير الملفوف بمنشفة زرقاء. وبدا له عندئذ أن من تكلم هو ظله.

ارتفع شبح نيرودا بمشقة فوق الفراش، وتفحصت عيناه اللتان خبا بريقهما العتمة:

- ماريو؟

- أجل يا دون بابلو.

مدّ الشاعر ذراعه المترهل ولكن ساعي البريد لم يفهم غرضه في لعبة الإيماءات الصامتة تلك.

- اقترب يا فتى.

عندما صار بجانب السرير، مدّ إليه الشاعر معصمه الذي أذهل ماريو بحرارته الحميّة، وأجلسه قرب رأسه.

ـ أردت الدخول في الصباحِ ولكنني لم أستطع. البيت محاصر بالجنود. لم يتركوا أحداً يمر سوى الطبيب.

فانفرجت شفتا الشاعر عن ابتسامة دون قوة:

ـ أنا لم أعد بحاجة إلى طبيب يا بني. من الأفضل أن يرسلوني مباشرة إلى حفار القبور.

ـ لا تقل هذا أيها الشاعر.

ـ حفر القبور مهنة جيدة يا ماريو. إنها تعلم الفلسفة.

استطاع الشاب أن يرى الآن فنجاناً على الكوميدينو، وفي استجابة لإيماءة من نيرودا قرّب الفنجان من شفتي الشاعر.

ـ بماذا تشعر يا دون بابلو؟

ـ أشعر بأني أحتضر. وباستثناء ذلك ليس هناك ما هو خطير.

ـ أتعرف ما الذي يجري؟

ـ ماتيلدي تحاول إخفاء كل شيء عني، ولكنني أملك هنا تحت الوسادة مذياعاً يابانياً صغيراً جداً. ـ ابتلع جرعة من الهواء ثم أخرجها وهو يرتعش: ـ يا رجل، هذه الحمى تجعلني أشعر كأنني سمكة في المقلاة.

ـ سينقضي كل هذا أيها الشاعر.

ـ لا يا بني. الحمى لن تنقضي، وإنما ستقضي عليّ.

أمسك ساعي البريد بطرف ملاءة السرير ومسح له العرق الذي كان يسقط من جبهته إلى رموشه.

- هل حالتك خطرة يا دون بابلو؟

- بما أننا في وضع شكسبيري فسأرد عليك مثلما رد ميركوريو وهو يغرس السيف في تيبالدو: «الجرح ليس عميقاً مثل بئر، وليس واسعاً مثل بوابة كنيسة، ولكنه كافٍ. اسأل عني غداً، وسترى كم سأكون متيبساً.»

- أرجوك أن تستلقي.

- ساعدني في الوصول إلى النافذة.

- لا يمكنني عمل ذلك. لقد سمحت لي دونيا ماتيلدي بالدخول الآن...

- إنني ثيلستينك، قوادك، وعراب ابنك. بفضل هذه الألقاب التي كسبتها بعرق قلمي أطالبك بأن توصلني إلى النافذة.

أراد ماريو أن يفحص نبض الشاعر بالضغط على معصمه. وكان وريد عنقه ينفر مثل حيوان.

- هناك نسمة باردة يا دون بابلو.

- النسمة الباردة مسألة نسبية! لو أنك ترى الريح التي تعصف في عظامي. الخنجر النهائي أصليّ وحاد يا فتى. خذني إلى النافذة.

- تجلد أيها الشاعر.

- ما الذي تريدون إخفاءه عني؟ ألن أجد البحر هناك في الأسفل عندما أفتح النافذة؟ هل أخذوه أيضاً. هل حشروا بحري في قفص أيضاً؟

انتبه ماريو إلى أن الحشرجة تصعد إلى صوته هو أيضاً، ومعها تلك النداوة التي بدأت تطفر من عينيه. ففرك وجنتيه ببطء ثم دس أصابعه في فمه مثل طفل.

- البحر موجود في مكانه يا دون بابلو.

فأنَّ نيرودا قائلاً بعينين متوسلتين:

- ماذا أصابك إذن؟ خذني إلى النافذة.

غرس ماريو أصابعه تحت ذراعي الشاعر، وبدأ يرفعه إلى أن أوقفه على قدميه إلى جانبه. ولخشيته من أن ينهار، شدّ عليه بقوة إلى حدّ أحس معه في جلده بالذات بمسار القشعريرة التي هزت المريض. تقدما نحو النافذة وكأنهما رجل واحد مترنح، وبالرغم من أن الشاب فتح الستارة السميكة الزرقاء، إلا أنه لم يكن بحاجة إلى النظر إلى ما يمكن أن يراه في عيني الشاعر. فقد كان ضوء صفارة الإنذار الدوارة يصفع حدقتيه بضربات متقطعة.

ضحك الشاعر بفم يغص بالدموع:

- سيارة إسعاف. لماذا لم يحضروا تابوتاً؟

- سيأخذونك إلى مستشفى في سنتياغو. دونيا ماتيلدي ترتب أشياءك.

- لا يوجد بحر في سنتياغو. ليس هناك سوى خياطين وجراحين.

ترك الشاعر رأسه يهوي على الزجاج، فغطاه غبش أنفاسه.

ـ إنك تتوقد يا دون بابلو.

رفع الشاعر بصره فجأة إلى السقف، وبدا كما لو أنه يراقب شيئاً يتدلى من بين الدعائم التي تحمل أسماء أصدقائه الميتين. وتنبه ساعي البريد من خلال قشعريرة أخرى إلى أن درجة حرارته في ارتفاع. وكان على وشك أن يصرخ ليخبر ماتيلدي عندما ثناه عن ذلك حضور جندي ليسلم ورقة إلى سائق سيارة الإسعاف. حاول نيرودا أن يمشي نحو النافذة الأخرى وكأن نوبة ربو قد أصابته؛ وحين أمسك به ماريو لمساعدته، أدرك أن القوة الوحيدة المتبقية في ذلك الجسد تتركز الآن في الرأس. كان صوت الشاعر وابتسامة ضعيفين حين كلمة دون أن ينظر إليه:

ـ أعطني استعارة كي أموت مطمئناً يا فتى.

ـ لا تخطر ببالي أية استعارات الآن أيها الشاعر، ولكن اسمع جيداً ما سأقوله لك.

ـ إنني أسمعك يا بني.

ـ حسن، اليوم وصل قرابة عشرين برقية لحضرتك. أردتُ إحضارها، ولكنني لم أستطع لأن البيت محاصر. أرجو أن تغفر لي ما فعلته، ولكن لم تكن هناك وسيلة أخرى.

ـ ماذا فعلت؟

ـ قرأتُ برقياتك كلها، وحفظتها عن ظهر قلب لأنقلها إليك.

ـ ومن أين هي مرسلة؟

ـ من أماكن كثيرة. هل أبدأ بالمرسلة من السويد؟

ـ هيا.

توقف ماريو عن الكلام ليبتلع لعابه، وتهاوى نيرودا لثانية. بحث عن مسند في مقبض النافذة. هبت على الزجاج الملطخ بالملح والغبار ريح جعلته يهتز. ثبت ماريو نظره على زهرة مائلة على حافة أصيص من الصلصال، وأعاد تلاوة النص الأول، متوخياً عدم الخلط بين كلمات البرقيات المختلفة.

ـ «ألم وسخط لاغتيال الرئيس ألليندي. الحكومة والشعب يعرضان اللجوء على بابلو نيرودا، السويد.»

ـ غيرها ـ قال الشاعر ذلك وهو يشعر بأن ظلالاً تصعد إلى عينيه، وأنها مثل شلالات أو خبب شبحي تبحث عن شرخ في الزجاج لتخرج وتنضم إلى بعض الأجساد الغائمة الآخذة بالنهوض بين الرمال.

ـ «المكسيك تضع تحت تصرف الشاعر نيرودا وأسرته طائرة لنقله على جناح السرعة إلى هنا» ـ رتّل ماريو ذلك وهو موقن بأن ما يقوله لم يعد مسموعاً.

كانت يد نيرودا ترتعش على مقبض النافذة، ربما كان يريد فتحها، ولكنه بدا في الوقت نفسه كما لو أنه يجس بأصابعه المتشنجة المادة الكثيفة نفسها التي تسري في أوردته وتملأ فمه باللعاب. ووسط الأمواج المعدنية التي تكسّر انعكاس طائرات الهليكوبتر وتوسع امتداد الأسماك الفضية في عجاج لامع، خيّل إليه أنه يرى بيتاً مطرياً يشيَّد بالماء، أخشاباً رطبة كلها جلد ولكنها حميمة في الوقت نفسه. وكان هناك سرّ خفي يتكشف له الآن في لهاث دمه

المرتجف، هذا الماء الأسود الذي كان انتاشاً، الذي كان الدقة الحِرَفية القاتمة للجذور، صياغته السرية في الليالي الثمرية، القناعة النهائية بالصُّهارة الذائبة التي ينتمي إليها كل شيء، ذلك الشيء الذي تبحث الكلمات كلها عنه، تترصده، تدور حوله دون أن تسميه، أو تسميه صامتة (الشيء الحقيقي الوحيد هو أننا نتنفس ونتوقف عن التنفس، هذا ما قاله الشاعر الجنوبي الفتي وهو يودع بيده التي كان قد أشار بها إلى سلة تفاح تحت المنضدة المأتمية): بيته قبالة البحر والبيت المائي الذي يرتفع الآن وراء هذا الزجاج الذي هو ماء أيضاً، عيناه أيضاً اللتان هما بيت للأشياء، شفتاه اللتان كانتا بيتاً للكلمات واستسلمتا الآن للتضمخ بهذا الماء نفسه الذي شقق في يوم بعيد نعش أبيه مجتازاً القيعان، والحواجز، والموتى الآخرين كي يشعل حياة الشاعر وموته في سرٍّ أخذ يتكشف الآن، بتلك المصادفة التي للجمال والعدم، تحت صُهارة موتى معصوبي العيون ونازفي المعاصم، ويضع على شفتيه قصيدة لا يعرف هو أنه قالها، ولكن ماريو سمعها حين فتح الشاعر النافذة وانتهكت الريح العتمة:

«أرجعُ إلى البحر مدثراً بالسماء،

الصمت بين موجة وأخرى

يفرض حيرة حرجة:

تموت الحياة، تستكين الدماء

إلى أن تنشق الحركة الجديدة

ويدوي صوت الأبدية.»

احتضنه ماريو من الخلف، وبينما هو يرفع يديه ليغطي عينيه الهاذيتين، قال له:

- لا تمت أيها الشاعر.

حملت سيارة الإسعاف بابلو نيرودا نحو سنتياغو. وفي الطريق كان عليها أن تجتاز حواجز شرطية ومراكز تفتيش عسكرية.

وفي يوم 23 أيلول 1973، مات في مستشفى سانتا ماريا.

وبينما كان يحتضر، تعرض بيته في العاصمة، على أحد سفوح رابية سان كريستوبال، للنهب. حطموا هناك الزجاج، وأحدثت مياه المواسير المكسورة فيضاناً في البيت.

سهروا على جثمانه بين الأنقاض.

لقد كانت تلك الليلة الربيعية باردة، ومن سهروا حول التابوت أمضوا الليل في شرب فناجين متتالية من القهوة حتى الفجر. وفي حوالي الساعة الثالثة صباحاً انضمت إلى الموجودين فتاة ترتدي السواد استطاعت أن تتغلب على حظر التجول بالزحف عبر الرابية.

وفي اليوم التالي ألقي في تأبينه خطاب واحد فقط.

ابتداء من سان كريستوبال وحتى المقبرة كان الموكب يتعاظم، ولدى المرور قبالة حرش مابوتشو، انطلق هتاف يحيي الشاعر الميت، ثم هتاف آخر يحيي الرئيس ألليندي. فأحاطت قوات عسكرية بالمسيرة وهي تشهر حراب بنادقها باحتراس.

وحول القبر، دندن الحاضرون النشيد الأممي.

علم ماريو خيمينث بموت الشاعر من التلفزيون في الحانة. وقد قرأ الخبر مذيع مدع تحدث عن غياب «شخصية وطنية وعالمية مجيدة». أتبع ذلك بسيرة موجزة للشاعر حتى نيله جائزة نوبل، واختتم بقراءة بيان يعرب فيه المجلس العسكري عن فجيعته بموت الشاعر.

انتقلت عدوى صمت ماريو إلى روسا وبياتريث، وكذلك إلى الصغير بابلو نيفتالي، فتركوه بسلام. غسلوا أطباق العشاء، وودع هو دون تفخيم السائح الأخير الذي سيركب القطار الليلي إلى سنتياغو. غمس مرات لانهائية مظروف الشاي الصغير في الماء الساخن وكشط بأظفاره فتات الطعام الملتصق بمشمع المناضد.

لم يستطع ساعي البريد النوم خلال الليل، وكانت الساعات تمضي وبصره معلق بالسقف، دون أن تسليه فكرة واحدة. وفي حوالي الساعة الخامسة صباحاً سمع صوت مكابح سيارة تتوقف أمام الباب. وحين أطل من النافذة، أومأ إليه رجل له شارب طالباً منه الخروج. لبس ماريو كنزته البحرية وتقدم نحو الباب. وإلى جانب الرجل ذي الشارب وشبه الأصلع، كان هناك رجل آخر شاب وقصير الشعر، يرتدي معطفاً مطرياً، ويضع ربطة عنق ذات عقدة كبيرة.

سأله الرجل ذو الشارب:

- هل أنت ماريو خيمينث؟

- أجل يا سيدي.

- ماريو خيمينث الذي يعمل ساعي بريد؟

ـ ساعي البريد يا سيدي.

أخرج الشاب ذو المعطف المطري بطاقة رمادية من جيبه، وتفحصها بنظرة سريعة:

ـ مولود في السابع من شباط 1952؟

ـ أجل يا سيدي.

نظر الشاب إلى الرجل الكهل، وكان هذا الأخير هو الذي قال لماريو:

ـ حسن. عليك أن تأتي معنا.

مسح ساعي البريد راحتيه بفخذية:

ـ لماذا يا سيدي؟

ـ لأجل بعض الأسئلة ـ قال الرجل ذو الشارب وهو يضع سيجارة بين شفتيه ويتحسس بعد ذلك جيوبه وكأنه يبحث عن الثقاب. رأى نظرة ماريو تتوجه إلى عينيه، فأضاف: ـ مجرد إجراء روتيني.

ثم أشار إلى مرافقه طالباً منه ناراً لإشعال السيجارة. ولكن هذا الأخير هز رأسه نافياً.

ـ ليس هناك ما تخشاه ـ قال الرجل ذو المعطف.

ـ يمكنك الرجوع بعد ذلك إلى البيت ـ قال الرجل ذو الشارب، وكان يعرض في أثناء ذلك السيجارة على شخص يطل برأسه من نافذة إحدى السيارتين اللتين بلا علامات مميزة، وكانتا تنتظران في الشارع ومحركيهما دائرين.

وأضاف الشاب ذو المعطف المطري:

ـ إنه مجرد إجراء روتيني.

ـ ستجيب على سؤالين ثم ترجع بعد ذلك إلى بيتك. ـ قال له ذلك الرجل ذو الشارب وهو يبتعد متوجهاً نحو رجل السيارة الذي كان يُخرج الآن ولاعة مذهبة من النافذة. انحنى الرجل ذو الشارب، وعندئذ ضغط النائب «لَبيه» على الولاعة مُحدثاً شعلة قوية. رأى ماريو الرجل ذا الشارب ينتصب وهو يؤجج جمرة السيجارة بسحب نفس عميق، ويشير إلى الشاب ذي المعطف المطري ليتقدم إلى السيارة الأخرى. لم يلمس الشاب ذو المعطف ماريو، وإنما اكتفى بالإشارة إليه باتجاه سيارة الفيات السوداء. انطلقت سيارة النائب «لَبيه» ببطء، وتقدم ماريو مع مرافقه إلى السيارة الأخرى. كان يجلس وراء المقود رجل يضع نظارة سوداء ويستمع إلى نشرة الأخبار. وعندما دخل ماريو إلى السيارة، سمع المذيع يعلن أن الجيش قد احتل مطابع كيمانتو، وأنه صادر طبعات عدة مجلات معادية منها: نحن التشيليون، وبالوما، وكينتا رويدا.

الخاتمة

بعد سنوات من ذلك علمت من جريدة اليوم، أن محرراً أدبياً من مجلة كينتا رويدا قد عاد إلى تشيلي من منفاه في المكسيك. وقد كان ذلك المحرر أحد أصدقائي القدامى في المدرسة، فاتصلت به هاتفياً لتحديد موعد. وقد تحدثنا في أثناء اللقاء قليلاً في السياسة، لاسيما حول إمكانية عودة تشيلي يوماً إلى الديمقراطية. وقد أرهقني لبضع دقائق أخرى بتجربة منفاه، وبعد أن طلبنا فنجان القهوة الثالث، سألته إذا كان يتذكر مصادفة اسم مؤلف القصيدة الفائزة التي كانت ستنشرها كينتا رويدا في يوم 18 أيلول من سنة الانقلاب.

فقال لي:

ـ أتذكر بالطبع. لقد كانت قصيدة رائعة لخورخي تيللير.

إنني معتاد على شرب القهوة دون سكر، ولكنني مهووس بعادة غريبة هي تحريك القهوة بالملعقة.

قلت له:

ـ ألا تتذكر نصاً ربما يكون عالقاً في ذهنك بسبب عنوانه الغريب بعض الشيء: *رسم بقلم الرصاص لبابلو نيفتالي خيمينث غونثالث*؟

رفع صديقي السكرية، واستبقاها في يده وهو يتذكر. ثم هز رأسه نافياً. إنه لا يتذكر شيئاً من ذلك. قرّب السكرية من فنجان قهوتي، ولكنني غطيته براحتي بسرعة وأنا أقول:

- لا، شكراً. سأشربها مُرَّة.

ألف راء

علامات في الرواية العالمية

سلسلة يديرها الروائي ظافر ناجي

تقرؤون ضمن هذه السلسلة

ساعي بريد نيرودا، أنطونيو سكارميتا.

تعريب صالح علماني

حديقة الصخور، نيكوس كازنتزاكي.

تعريب أسامة اسبر

الساعة الخامسة والعشرون، فرجيل جيورجييو.

تعريب فائز كم نقش

نرسيس وغولدموند، هرمان هيسه

تعريب أسامة منزلجي

حرير، أليسندرو باريكو

تعريب أيمن بالحاج

زوربا اليوناني، نيكوس كازنتزاكي

تعريب أسامة اسبر

قلم النجّار، مانويل ريفاس

تعريب صالح علماني

السيّد الرئيس، ميغل أنخل أستورياس

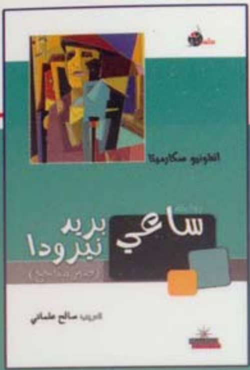
تعريب جمال الجلاصي

إستبان أنطونيو سكارميتا برانيثيث

- روائيّ شيلي يعدّ من أبرز الروائيين في أمريكا اللاتينيّة.
- ولد سنة 1940 بانطوفغاستا Antofagasta بشمال الشّيلي
- مختصّ في الأدب والفلسفة والسينوغرافيا
- درّس السّينوغرافيا وكتابة السّيناريو بأكاديميّة السّينما والتّلفزة في برلين.
- شغل منصب سفير الشّيلي بالمانيا منذ سنة 2000.
- تُرجمت اعماله الروائيّة إلى اكثر من عشرين لغة.
- من أبرز اعماله الروائيّة :

ساعي بريد نيرودا :صبر متأجّج
درّاج سان كريستوبال
باليه النّصر
عرس الشاعر
فتاة التّرمبون
أوَ لم تمت!

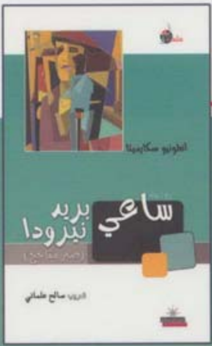
سلسلة
علامات في الرواية العالمية
سلسلة يديرها الروائي ظافر ناجي
Masciliana Editions



ساعي بريد نيرودا
(صبر متأجج)

سلسلة

علامات في الرواية العالمية
سلسلة يديرها الروائي ظافر ناجي



هي رواية بطعم الفاكهة، تبدؤها فإذا أنت متورّط فيها حدّ المتعة، تنال من كلّ حواسّك وتسحبك من عالمك إلى عالمها فلا تستطيع لها تركا ولا منها فكاكا قبل أن تقرأ الجملة الأخيرة.. رواية شحيحة الشخصيّات قليلة الأحداث يمكن تلخيصها في كلمة " نيرودا " وهو ممدّد على فراش المرض ردّا على ساعي بريده "ماريو خيمينث" وهو يسأله عمّا يشعر.. فيجيبه بكلّ بساطة و عمق: "أشعر بأنّي أحتضر . وباستثناء ذلك ليس هناك ما هو خطير".

أيّة مفارقة أجمل من لعبة اللغة توحي و تسحر و تمكر؟ لغة هي النّسيج و اللّباس والرّائحة والالتباس. تلتبس عليك الأحداث فلا تعرف ما الواقع وما الخيال وما السّحر. وتلتبس عليك الشّخوص والشخصيّات والأشخاص فتتساءل: من البطل؟ ولا جواب .. كلّهم أبطال ولا بطل.

نحن إزاء رواية علامة في تاريخ الأدب العالميّ. علامة تنساب المتعة مع سطورها كخدر الحبّ في العروق لذلك فهي تكره القارئ العاديّ وتنشد قارئا شبقا لا ينتهي من الصفحة حتّى يستزيد إلى أن يفقد الوعي ... أي يسترجعه.

ظافر ناجي

الرسم على الغلاف: للفنان عادل الثليثي

9789938833010

Masciliana Editions

الثمن: 10 د.ت.